
١٩٣
سلوان المطاع
محمد بن ظفر
المكي
ن
٨١٨
س.ظ



سلوان المطاع في عدوان الاتباع، تأليف محمد بن عبد الله،
ابن ظفر الصقلي -٥٦٥هـ. خط سنة ٦٥١هـ.
٩٥ ق ١٣ س ٢١×١٥سم
نسخة جيدة؛ نفيسة، السلوانات بماء الذهب، طبع.
الاعلام ٧ : ١٠٧، الأزهرية ٣ : ٥٨٥
١- الشعائر والتقاليد والاخلاق الاسلامية
أ- ابن ظفر، محمد بن عبد الله -٥٦٥هـ ب- تاريخ
النسخ
ج- السلوانات.

٦٢٠

كتاب سلوان المطاع في عدوان الاتباع

تصنيف الشيخ الفقيه الامام

حجة الدين ابي عبد الله

محمد بن محمد بن ظفر

المكي عفى الله

عنه امين

امين

وقف لله تعالى هذا الكتاب

طالع منتهيا للمعانيب

داعيا المالكية بالبقا وعلو الارتقا

الحقير خضر علي المتساعدي المالكي

في العشر الاوسط من شوال

١١٩٠

اذا ما نعيت علي فالتزوا عليك

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله الفقير اليه محمد بن ابى محمد بن ظفر
عفى الله تعالى عنه ان شكر الله سبحانه لابس الملابس
الفاخرة وان حمده لاعود مجير للدنيا وخير الاخرة
فالحمد لله جاعل الصبر للنجاح ضمينا والمحبوب
في المكروه كمينا الذى ضرب دون اسرار الاقدار
حجابا مستورا وقضى ان الخير على الفطن حجر محجورا
واوطا المستسلمين لمشاياه ممهودا وثيرا وامطا
المتبرمين بكناياه كنودا عثورا وقال سبحانه
فعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا
وصلى الله على المرسل شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا سيدنا المصطفى وسلم تسليما
كثيرا وبعد فان مما اقتضانى اليه اضطراب الاغتراب وانتيا

الاكتياب

الاكتياب ان اظفرني الله سبحانه وله الحمد بمواخاة مقيل
عثرات السادات السراه ومسيل انفس الحسد حسرات
سايد السادة وقايد القاده ابي عبد الله محمد بن ابي القسم
بن علي بن علوي القرشي بارك الله له فيما الهمه كسبه وكان
وليه وحسبه فلقد اثر الدنيا بترك منزلتها وكوشف
بشركه لها فعمل للبقاء لا للفناء وجمع للجود لا للغناء
وجاد لله لا للثناء واخى للتعاون على البر والتقوى لا للتهافت
في هوى الهوى وزان الرياسة بنفس لا تضيق بنازله ذرعا
ولا تصغي الى الوشاة سمعا ولا تدنس بطمع طبعا وحلم لا يرفع
الغضب لديه راسا وحزم لا يخاف الا بالله معه باسا فالحمد
لله الذي [illegible] اخايه حمى منيعا وحرما امينا ومرتعا
مريعا ووردا مغنيا

شعر

فخرت بقربه فيما اشتهينا وما اخترنا واحببنا او ...

بقينا ما نخاف وان ظننا به خيرا اراناه يقينا

نميل على جوانبه كانا اذا ملنا نميل على ابينا

واقسم لولا ان الشكر عقد شرعي وحق مرعي لاقررت
عينه بطي ما نشرت والتورية عما اليه اشرت اذ كان
وفاي الله بعده ولا ابقاني بعده يرى ان الشكر في وجوه
الايه ندوب والمدح من خواص اوليايه ذنوب فلا زالت
يد الله فوق يده ناصره وخطا الشوايب عنه قاصره ومكانه
العلايه فاخره ومكايد الاعداء عنه داخره امين
امين امين وصلى الله على سيدنا محمد الامين وعلى اله
وصحبه الاكرمين وسلم عليه وعليهم في العالمين

تساعده ولما كانت الهدايا تعضد الشكر وتونسه وتزرع
الحب وتضاعفه احببت ان اهدي اليه هدية فايقة رايقة

الذي شغفه حبا والحكمة التي لم يزل بها صبا والادب
الذي استوعبه مولدا وكسبا واستعمره حلبا وقلبا
فاتحفته باساليب الغرابة في احكام اية وهو كتاب ضمنته
احد عشر اسلوبا تفضي بسالكها الى العلم بالظاهر والمستنبط
من قول الله سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا
وجوهكم وايديكم الاية ثم شفعته بالمسمى لاستشفاف العورة
والاشراف وهو كتاب استوعبت به مسايل دينك الساليين الرفين
مشفوعة بحجب رافعيها ثم عززتهما ببدر الغرر وهو كتاب انتظمت
به درر انباء نجباء الانبياء فاودعته منها ما عز مطلبه وبهرت
حكمته وحسن ادبه ثم ربعت بكتابي هذا وهو كتاب عمدت
فيه الى امثلة استاثرت بها خواص الملوك بضاعتها ومنعتهم الغيرة
عليها من اذاعتها فتوسعت بالتعبير بالفاظي عنها والتحبب
بتعليمها النفس بقوى فطنتي فيها توسعا لا يخطر شرع ولا

ينبو عنه سمع ۝ حتى اذا عادت أهلتها بدورًا رابعة وآضت
ودبيلها عمائم يانعة ۝ نفثت في صورها ارواح الاخلاق الزكية
وكسوت جسومها الاداب الملوكية ۝ وتوجت رؤسها بتيجان
الهمم الأبية ۝ وقلدت عواتقها سيوف المكايد الحربية
وصدرتها بآي من القرآن المحكم ۝ واحاديث عن النبي صلى
الله عليه وسلم ۝ الى ما يلي ذلك من منثور الحكم وموزونها
وأبكار الاداب وعونها ۝ فبرزت روضة للقلوب
والاسماع ۝ ورياضة للعقول والطباع ۝ وسميتها سلوان
المطاع ۝ في عدوان الاتباع ۝ والسلوان جمع سلوانة
وهي خرزة تزعم العرب ان الماء المصبوب عليها اذا شربه المحبوب
سلا ۝ قال الراجز

لو أشرب السلوان ما سليت ۝ ما بي غنى عنك وان غنيت

فهي خمس سلوانات ۝ السلوانة الأولى في التفويض ۝

السلوانة الثانية في التأسي ۝ السلوانة الثالثة في الصبر
السلوانة الرابعة في الرضى ۝ السلوانة الخامسة في الزهد
وانا ارغب الى الله سبحانه في الامداد بالسداد ۝ والارشاد
الى نفع العباد ۝ فبه الحول والمنة ۝ وله الطول والمنة ۝

السلوانة الاولى وهي سلوانة التفويض

قال الله ربنا تقدس اسمه ۝ فعسى ان تكرهوا شيئا
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ۝ وقال تقدس اسمه وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ۝ وعسى ان تحبوا شيئا
وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فالمستوفق من
عقل امره عن الاقتراح عليه ۝ وافهمهم ما يرضاه من
التفويض اليه ۝ والعاقل تارك الاقتراح ۝ على العالم بالفلا
ووجه افهام الانسان الى التفويض من هاتين الآيتين انه

اذا كان المكروه قد يأتي بالمحبوب والمحبوب قد يأتي بالمكروه فالاولى
بذي البصيرة ان لا يامن المفرة بالمسرة ۝ ولا ييأس من المسرة
بالمضرة ۝ فيستخير الله سبحانه ولا يتحكم عليه وهذا
من التفويض المستمر من الله سبحانه صرف البلا واللطف في مكروه
القضا ۝ وبهذا عامل الله سبحانه مومن آل فرعون حين فوض
امره الى الله ۝ وذلك بما بلغنا انه كان من ذوي قرابة فرعون
وخواص اصحابه ۝ وكان وزرا فرعون وبطانته فطنوا لايمانه
واتباعه موسى عليه السلم ۝ فاطلعوا فرعون على ذلك فلم
يصدقهم وعطفته على ذلك المومن القرابة ۝ ولما ظهرت
آيات الله سبحانه على يدي موسى عليه السلم ۝ بحضره فرعون
جمع وزراه وبطانته بحضره واوفيهم ذلك المومن فشاورهم
في امر موسى عليه السلم ۝ فاتفقوا على ان الراي مطاولة موسى
عليه السلم وجمع السحرة لمقاومته وكان راي فرعون معاجلة

موسى عليه السلم بالقتل وبذلك اخبر ربنا جل ثناوه ۝ قالوا
ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم
الآية ۝ وقال عز من قايل وقال فرعون ذروني اقتل موسى
الآية ولما اطلع وزرا فرعون على رايه في موسى عليه السلم
امسكوا عن مراجعته هيبة منهم له واشفق ذلك المومن
ان يبطش فرعون بموسى عليه السلم ۝ فقل صبره وضاق بسره
صدره فقال ما اخبر الله تعالى عنه ۝ اتقتلون رجلا ان يقول
ربي الله وقد جاكم بالبينات من ربكم ۝ ثم كانه استقال
وراجع التوريه والتقيه والحذر فقال ما اخبر الله تعالى
عنه وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض
الذي يعدكم ۝ فلما سمع فرعون مقالته غضب وامر به ليسجن ۝
وشاور بطانته ووزراه في امره فاشاروا ان يبسط عليه العذاب
ثم يقتله ليرتدع من كان على مثل رايه فكره ذلك فرعون وعطفته

عليه القرابة وامر وزراه ان يصيروا الى ذلك المومن فيعظوه
وينصحوه ويامروه بمراجعته عما كان عليه من الطاعة
ويخوفونه عاقبة خلافه ففعلوا ذلك ولما سمع المومن
مقالتهم دعاهم الى الله واذكرهم ما عاينوه من الايات
وحذرهم زوال نعمة الله عنهم وحلول مكره بهم وكان منه
اليهم ما اخبر الله عز وجل عنه في قوله تعالى ⊙ ولقد جاكم
يوسف من قبل بالبينات الاية ⊙ وقوله يا قوم اني اخاف
عليكم يوم التناد الاية ⊙ وقوله يا قوم ما لي ادعوكم الى
النجاة وتدعونني الى النار الى قوله فستذكرون ما اقول
لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد ⊙ فعاد القوم
الى فرعون فاخبروه عن المومن بثبوته على المشاققة والمنابذة
والمعصية لفرعون وان النصح لم يرده الا تماديا على امره
فساء ذلك فرعون وشق عليه وخلا بنفسه مفكرا في امره

فاتته ابنته وسالته عن امره فاخبرها به واطلعها عليه فقالت ⊙
له ان عندي الفرج مما انت فيه فلا تعجل على خاصتك وذوي
قرابتك فانه على ما تحب ولكنه لما راى موسى قد امتنع بالسلطان ⊙
الذي في عصاه وان قتله مجاهرة غير متمكن تظاهر بما انكرته عليه
ليخدع بذلك موسى ويتمكن من مخاتلته وقتله غيلة فكلما رايت
وسمعته انه مكر بموسى وما منعه ان يطلع وزراك على ذلك
حين ذهبوا اليه الا انهم اهل تهمة وحسد وبغي وغدر لم يطبعوا على
مثل وفايه ونصحه فسر فرعون بمقالتها والقى الله تعالى في نفسه
تصديقها ⊙ فيقال ان آسية امراة فرعون هي التي امرها بذلك
فاحضر فرعون ذلك المومن واعتذر اليه واكرمه وقال له قد علمت
ما قصدت له وما انت سلع فيه فقل ما بدا لك ان تقوله وافعل
ما بدا لك ان تفعله فلست اتهمك ⊙ قال الله تعالى فوقاه
الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب فهذه

الوقاية ثمرة التفويض ○ ثم قال ربنا تقدس اسمه وحاق
بآل فرعون سوء العذاب اي حاق بهم ما ارادوه بذلك المؤمن
من التعذيب وان كان عذاب الآخرة لا يجتمع مع عذاب الدنيا
الا في الاسمية وهذا كقوله سبحانه ولا يحيق المكر السيء الا باهله
واعلم رحمك الله واياي ان حقيقة التفويض هو التسليم لاحكام
الحكيم الذي دل عليه الله مصطفاه صلى الله عليه وسلم ○ بقوله
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فامر التفويض والباعث عليه انما هو اعتقاد انه لا يكون من
الخير ومن الشر شيء الا ما اراد الله كونه ○ ولا يصح التفويض لمن لا
يعتقد ذلك ويتدين به وقد بالغ النبي صلى الله عليه وسلم
في التصريح به والحث عليه بقوله لعبد الله بن مسعود ليقل همك
سوف يأتيك
ما قدر يكن وما لم يقدر لم يأتك ○ واعلم ان الخلق لو جهدوا
ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا على ذلك

ولو جهدوا ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا على
ذلك فقوله صلى الله عليه وسلم ليقل همك امر بالتفويض وقوله ما
قدر يكن الى آخر الكلام بيان للعلة التي من اجلها فوض العقلا
وسلموا الى الله تعالى ونحو ذلك مما رويناه في مسند مسلم ان النبي
صلى الله عليه وسلم ○ قال لابي هريرة في كلام قاله له وان
[illegible]ك شيء فلا تقل لو فعلت كذا وكذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله
[illegible] الله فعل فان لو تفتح عمل الشيطان فدله على التفويض الى الله
عز وجل والتسليم لامره ونهاه عن قول لو لما كان نقضا في التفويض
الى الله عز وجل ويقتضي الاعتراض على قدره والتعاطي لدفع مشيئته ○
ومما رويناه عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا اخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك
الايمن ثم قل اللهم اني اسلمت وجهي اليك وفوضت امري اليك
والجأت ظهري اليك رهبة ورغبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا

إليك آمنت بكتابك الذي أنزلته وبنبيك الذي أرسلته. الحديث

أسجاع وأبيات حكمية في التفويض

معارضة العليل طبيبه توجب تعذيبه. إنما الكيس الماهر

من استسلم في قبض القاهر. إذا كانت مغالبة القدر مستحيلة

فمن أعوار نفوذه الحيلة. إذا التبست المصادر ففوض الأمر إلى القادر

إن من الدلالة على أن الإنسان مصرف مغلوب. ومدبر [illegible]

[illegible] يستبد رأيه في بعض الخطوب. ويعمى عليه الصواب المط[لوب]

فإذا كان ذلك كذلك فإن تمهين في تدبيره. واعت[illegible]

احتباله وهلكته في حركته. **قيل** كان الحجاج بن يوسف إذا

تعارضت عليه آراؤه في خطب من الخطوب أنشد هذا البيت.

دعها سماوية تجري على قدر لا تفسدنها برأي منك منكوس

وفي ذلك قلت

أيا من يعول في المشكلات على ما رواه وما دبره

إذا أشكل الأمر فاربأ به إلى من ترى منه ما لم تره

تكن بين عطف يقيك المخوف ولطف يهون ما قدره

إذا كنت تجهل عقبى الأمور وما لك حول ولا مقدره

فلم ذا العنا وعلام الأسى وفيم الحذار وفيم الشره

وقلت في ذلك أيضا

[يا رب] مغتبط ومغبوط برأي فيه هلكه

[ومنافس] في ملك ما يبتغيه في الدارين ملكه

علم العواقب دونه ستر ولبس مرام هتكه

ومعارض الأقدار بالآراء سيء الحال ضنكه

فكن امرأ محض اليقين وزيف الشبهات سبكه

تفويضه توحيده وعناده المقدور شركه

روضة رائقة ورياضة فائقة

لما بلغ الوليد بن يزيد بن عبد الملك أن ابن عمه يزيد بن الوليد

بن عبد الملك قد أوغر عليه الصدور وشرد عنه القلوب واستجاش
اليمن ونازعه رداء ملكه ساعيا في هلكته استوحش من بطانته
واحتجب عن سماره فدعا في عشية من عشايا وحشته خادما
له وقال له انطلق مستنكرا حتى تقف ببعض الطرق
وتأمل من يمر بك من الناس فإذا رأيت كهلا رث الهيئة
والملبس يمشي مشيا هونا وهو مطرق فسلم [illegible]
أذنه أن أمير المؤمنين يدعوك فإن أسرع [illegible]
وإن تلكأ واستراب أو عارض فدعه واطلب غيره حتى
برجل على الشرط الذي ذكرت لك فانطلق الخادم فأتاه
برجل على ما وصف وشرط فلما دخل الكهل على الوليد بن يزيد
حياه بتحية الخلافة وقام فأمره الوليد بالجلوس والدنو وأمهله
إلى أن ذهب روعه وسكن جأشه ثم أقبل عليه فقال له
أتحسن مسامرة الملوك فقال الكهل نعم يا أمير المؤمنين أحسنها
فقال

فقال له الوليد إن كنت تحسن المسامرة فأخبرنا عنها ما هي فقال
الكهل المسامرة إخبار لمنصت وإنصات لمخبر ومفاوضة فيما
يعجب ويليق ⊙ فقال الوليد أحسنت أيها الرجل لا أزيدك امتحانا
فقل ننصت لقولك ⊙ فقال الكهل يا أمير المؤمنين إن المسامرة
صنفان لا ثالث لهما أحدهما إخبار بما يوافق خبرا مسموعا والثاني
إخبار بما يوافق غرضا مقترحا ⊙ وإني لم أسمع بحضرة أمير المؤمنين
حديثا فأحذو على مثاله ولا أقترح على أمير المؤمنين سلوك
طريقة فأنحو نحوها وألزم أسلوبها ⊙ فقال الوليد صدقت
وها نحن نقترح لك ونرسم لك رسما تقتفيه ⊙ إنا بلغنا
أن رجلا من رعيتنا سعى فيما يصم ملكنا فأثر سعيه وشق ذلك
علينا فهل نمي ذلك إلى علمك فقال الكهل نعم ⊙ فقال له الوليد فقل
الآن على حسب ما نمي إليك منه وعلى حسب ما ترضى من التدبير فيه
فقال الكهل يا أمير المؤمنين إنه بلغني أن أمير المؤمنين عبد الملك بن

مروان لما ندب الناس لقتال عبد الله بن الزبير وخرج بهم متوجها
إلى مكة حرسها الله استصحب عمرو بن سعيد بن العاص وكان
عمرو قد انطوى على دغل نيته وفساد طويته وطمع به في نيل
الخلافة وكان أمير المؤمنين عبد الملك قد فطن لذلك إلا أنه يبقي
عليه لتأكد حرمته وأواصر رحمه فلما فصل أمير المؤمنين عن
دمشق وسار عنها أياما واستمر به السير تمارض عمرو بن سعيد
فاستأذن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان في العود إلى دمشق
فأذن له فلما دخل عمرو بن سعيد دمشق صعد على المنبر فخطب الناس
خطبة نال فيها من الخليفة ودعا الناس إلى خلعه فأجابوه إلى
ذلك وبايعوه واستولى على دمشق وحصن سورها وحمى عورتها
وسد ثغورها وبذل الرغائب ⊙ فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان
وهو متوجه إلى ابن الزبير وبلغه مع ذلك أن والي حمص نزع يده
من الطاعة وأن أهل الثغور قد تشوفوا الخلاف عليه فخرج على

وزراه

وزرائه وفي يده مخصرة يضرب بها عطفيه فأطلعهم على ما بلغه
وقال لهم هذه دمشق دار ملكنا قد استولى عليها عمرو
بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى على الحجاز والعراق
واليمن ومصر وخراسان ⊙ وهذا النعمان بن بشير أمير حمص وزفر
ابن الحارث أمير قنسرين ⊙ ونائل بن قيس أمير فلسطين قد نزعوا
أيديهم من الطاعة وبايعوا الناس لابن الزبير وقد تشوف أهل
الثغور للخلاف ⊙ وهذه المفرنجة بسيوفها على عواتقها تطالبنا
بقتلى المرج ⊙ فلما سمع وزراؤه مقالته ذهلت عقولهم وعلموا
أن لا مفر ولا مقر فنكسوا رؤوسهم ولم ينطقوا بحرف واحد
فقال لهم عبد الملك ما لكم لا تنطقون أحضروني غناءكم فهذا
وقت الحاجة إليكم فقال له أفضلهم رأيا أي غناء عندنا في
هذا وددت والله أني كنت حرباء على عود من أعواد تهامة حتى
تنقضي هذه الفتن قال عبد الله الحرباء دابة صغيرة طولها

اقل من الشبر لها قوائم اربع وراس كشبه راس العجل اذا طلعت
عليها الشمس قامت على عود او جرثومة او حجر ثم استقبلت
الشمس ببصرها وتضرب بلسانها ۞ كما يفعل من يسوق حمارا
فلا تزال كذلك حتى تزول الشمس فتستدبر الحرباء فتقابلها ببصرها
وتراعيها كذلك حتى تغيب الشمس في مغربها فاذا غربت ذهبت
الحرباء تبتغي ما تاكله ليلتها كلها حتى اذا طلعت الشمس عاد
لفعله فينبغي هذا الرجل ان يكون حربا على عود فرارا من تلك الفتن
قال الكهل فلما سمع عبد الملك مقالة صاحبه علم ان لا غناء عند
رايه فقام عنهم وامرهم بلزوم مواضعهم وركب من فوره منفردا
وامر جماعة كثيفة من شجعان اصحابه وفرسانهم فركبوا في السلاح
وتبعوه متباعدين بحيث يرون اشارته ان اشار اليهم فعلوا
وسار عبد الملك وتبعه القوم على ما رسم لهم فلم يزل سائرا حتى
انتهى الى شيخ ضعيف البدن سيئ الحال وهو يجمع السماق فسلم عليه

عبد الملك

عبد الملك واستجلسه جلسة خفيفة ثم قال له ايها الشيخ الك علم
بمنزل هذا العسكر فقال الشيخ بلغني انهم نزلوا بموضع كذا وكذا
فقال له عبد الملك فهل سمعت شيئا مما يقول الناس في اميره
فقال الشيخ ما سؤالك عنه ۞ فقال عبد الملك اردت اللحاق
به والدخول في اصحابه والتعرض للحظوة عنده فقال الشيخ ما
معناه اني اراك اديبا وصبيا واني احسبك حسيبا نسيبا فهل لك
ان انصح لك فيما انت قاصده ۞ فقال عبد الملك ما احوجني
الى ذلك فقال الشيخ انه ينبغي لك ان تصرف نفسك عن هذا الراي
الذي ترغب اليه فان الامير الذي انت قاصده قد انحلت عرى ملكه
ونابذه اتباعه واضطربت اموره وان السلطان في حال اضطراب
اموره كالبحر في حال هيجه لا ينبغي ان يقرب فقال عبد الملك
ايها الشيخ ان الحنكة لم تبلغ بي مغالبة نفسي في كل ما ترغب اليه
واني لاجدها تنزع لصحبة هذا الامير نزاعا شديدا ولا بد لي من

ذلك فهل لك ان تحسن الي فتخبرني بما تراه من الراي لهذا الامير
في تدبيره هذه الخطوب التي دهمته لاعرض ذلك الراي عليه
واتفق به عنده فلعله ان يكون سببا لقربي منه ۞

قال ۞ الشيخ ان حكمة الله وقدرته لتقضيان بحجب العقول
والاراء عن النفوذ في بعض النوازل واني لاظن ان هذه النازلة التي
نزلت بهذا الامير من النوازل التي لا تنفذ فيها العقول ولا تهتدي
الي صواب تدبيرها الاراء واني لاكره ان ارد مسالتك بالخيبة فها انا
اقول فيما سالتني عنه قولا افتي به حق رغبتك وان كنت لا اثق
بنفسي فيه لان الخطب عظيم جدا والخطر فيه يضاهي عظمه
فقال عبد الملك قل جزاك الله خيرا ۞ واني ارجو الله ان يسدد
ويرشدك ويرشدني بك الي الفلاح ۞ فقال الشيخ ان هذا الخليفة
خرج الي قتال عدوه فظهر من مشية الله سبحانه انه لا يريد ما
قصد له والدليل علي ان الله لم يرد قصده لمحاربة بن الزبير انه

قطع

قطعه عن التمادي لما احدثه في دار ملكه من وثوب عمرو بن سعيد
علي منبره واستفساد رعيته واستيلائه علي بيوت امواله وسرير
خلافته واي مشير عليك بتفقد حال هذا الامير وانتظار ما يكون منه
فان رايته قد تمادي فيما خرج له واصر علي قصده لابن الزبير فاعلم انه
مخذول فاجتنبه وانما كان مخذولا لان الله سبحانه قد اظهر له من حكمته
امرا يقطعه عن التمادي لما خرج له فابي الا لجاجا وان رايته قد رجع
من حينه وترك ما كان قصد له وخرج اليه فارج له السلامة
فانه مستقبل مراجع والله سبحانه اهل ان يقبل من استقاله ويرحم
من رجع اليه ۞ فقال عبد الملك يا شيخ وهل رجوعه الي دمشق
الا كمسيره الي بن الزبير اذ كان قد ظهر من مشية الله وقدرته ان
نفر عنه قلوب رعيته التي بدمشق عن موالاته وبسط ايديهم
بالبيعة لغيره فمسيره الي بن الزبير كرجوعه الي عمرو بن سعيد لان
كل واحد منهما حصل علي مملكته متبعة ورعيته مطيعة فقال الشيخ

إن الذي أشكل عليك لبيّن لواضح وها أنا أزيل عنك اللبس إن عبد الملك
إذا قصد بن الزبير كان في صورة ظالم له لأن بن الزبير لم يعطه
طاعة قط ولا وثب له على مملكة وهو إذا قصد عمرو بن سعيد
كان في صورة مظلوم لأن عمرو بن سعيد نكث بيعته وخان أمانته
وأفسد رعيته وحملهم على النكث والغدر ووثب على دار ملك
لم تكن له ولا لأبيه بل كانت لعبد الملك ولأبيه من قبله وعمرو بن
سعيد عليها معتد ولها مغتصب

وإنه كان يقال سمين الغضب مهزول ووالي الغدر معزول
وكان يقال حبل العدوان مفتول وعرش الطغيان مثلول وسأضرب
لك في ذلك مثلا يشفي النفس وينفي اللبس وأودعه من فقر الحكم
ما يشحذ الفطن والألباب ويسفر عن وجه الصواب ⊙

زعموا أن ثعلبا كان يدعى ظالما وكان له جحر يأوي إليه وكان
مغتبطا به لا يبغي عنه حولا فخرج يوما يبتغي ما يأكل ثم رجع فوجد حية

في جحره فانتظرها فلم تخرج عنه فعلم أنها قد أوطنته وذلك
أن الحية لا تتخذ جحرا وتدخل الجحرة فتغصبها وتطرد عنها ما فيها
من الحيوان ⊙ قال الراجز يصف رجلا بالظلم ⊙ (كما قال شاعر)
وأنت كالأفعى التي لا تحتفر ⊙ ثم تجي سادرة فتنجحر ⊙
ولهذا قالوا فلان أظلم من حية ⊙ فهذا ظلمها **ولما رأى** ظالم
أن الحية قد أوطنت جحره ولم يمكنه الكون معها ذهب يطلب لنفسه
مأوى فانتهى به التطواف إلى جحر حسن الظاهر خصيب الموضع
في أرض خصبة ذات أشجار ملتفة وماء معين فأعجبه وسأل عنه
فأخبر أن ذلك الجحر لثعلب يدعى مغوطا وأنه ورثه عن أبيه فناداه
فخرج إليه ورحب به وأدخله إلى جحره وسأله عما قصد له فقص
عليه خبره وشكا إليه ما ناله ثم أقبل عليه ⊙ فقال له إن من
الهمة أن لا تقصر عن مطالبة عدوك وأن تستفرغ جهدك في
ابتغاء دفعه وهلكه ⊙ وإنه كان يقال من تهيب عدوه فقد

جيش الي نفسه جيشا ⊙ وكان يقال رب حيلة انفع من قبيلة
وكان يقال الموت في طلب الثار خير من الحياة في العار وكان
يقال اذا طلبت عدوك بالقوة فلا تقدم عليه حتى تعلم ضعفه
عنك واذا طلبته بالمكيدة فلا يعظمن امره عندك وان كان عظيما
والراي عندي ان تنطلق معي الي ماواك التي انتزع منك غصبا حتي
اطلع عليه فلعلي اهتدي الي وجه مكيدة في تمكينك منه فان
افضل الراي ما استمر علي الروية ولهذا قيل يفسد التدبير ثلثة اسباب
احدها ان تكثر الشركة فيه فاذا كان كذلك انتشر التدبير وبطل
والثاني ان يكون الشركة في التدبير متحاسدين متنافسين
فيدخله الهوي والبغي فيفسد ⊙ والثالث ان يملك التدبير
من غاب عن الامر المدبر دون من باشره وشاهده فاذا كان ذلك
كذلك دخله فقد المباشر الحاضر وفوت الغرض ⊙ ثم ان تدبير
المسموعات ما اسس علي ظنون الخبر ⊙ وتدبير المجربات ما اسس علي
يقين

بغير النظر فانطلقا معا الي ذلك الجحر فتامله مغوص وعلم ما
اراد عمه ثم اقبل علي ظام فقال له قد شاهدت من امر مسكنك
ما فتح لي باب المكيدة وسفر لي عن وجه الراي ⊙ فقال ظام اطلعني
علي ما ظهر لك فقال مغوص ان افضل الراي ما اجادت
الفكرة نقده ⊙ واحكمت الروية عقده ⊙ وان اضعف الراي
ما سنح في البديهة وكان يقال الراي مراة العقل فمن اراد ان
يري صورة عقله فليستشره وكان يقال الراي سيف العقل
ولما كان امضي السيوف ما بولغ في ارهاف حده واجيد صقله كان
انجح الاراء ⊙ ما كثر امتحانه واطيل تامله وتاوله وكان يقال كل راي لم
تتمخض الفكرة فيه ليلة كاملة فهو مولود بغير تمام ⊙ ثم قال له
انطلق معي فبت الليلة عندي فانظر ليلتي هذه فيما سنح لي من المكيدة
ففعل ذلك وبات مغوص مفكرا في ذلك وجعل ظام يتامل مسكن
مغوص فراي من سعته وطيبة تربته وحصانته وكثرة

مرافقه ما اشتد له اعجابه وحرصه عليه وطفق يدبر الحيلة
في غصبه وينفي مفوض عنه **وكان يقال**
اللئيم كالنار اكرامها اضرامها ۝ وكالخمر حبيبها سالبها ۝
ويتبعها صاحبها **وكان يقال** اذا كانت الاساءة طبعا لم يملك لها الا
دفعا **وكان يقال** العاقل يقدم التجربة على التقريب ۝ والاختبار
على الاختيار ۝ والثقة على المقة ۝ **فلما** أصبح قال مفوض لظالم
يا سيدي اني رأيت ذلك الحجر بعيدا عن الشجر فاصرف نفسك
عنه وهلم اعينك على احتفار حجر غيره بهذا المكان النير الموافق
فقال له ظالم ان ذلك لا يمكنني لأن لي نفسا تهلك لبعد الوطن
حنينا ولا تملك لفقد السكن سكونا **وانه كان يقال**
دلائل الوفاء تشيع بر الآباء والامهات ۝ وصلة ذوي القرابات ۝
والنزاع الى الوطن ۝ والجزع على فقد السكن ۝ والحزن لاخلاق
الشباب واللبس لاخلاق الشباب ۝ والصبر على هرم الدواب ۝

حسان

وانه

وانه كان يقال الغريب من بان الاحباء قد اعاده البين أثرا بعد
عين وقيل ان حروف الغربة مجموعة من اسماء دالة على محصول
اسم الغربة فالغين من غدر وغيبة وغم وغبن وغلة وهي حرارة
الحزن وغير وغول وهي كل شيء تهلكه ۝ والراء من رزء وردى
وهو الهلاك ۝ والباء من بؤس وبلوى وبرح وهي الداهية
وبوار وهو الهلاك ۝ والهاء من هول وهم وهلك وهون ۝ فلما
سمع مفوض مقالة ظالم وما تظاهر به من الرغبة في وطنه
قال له اني ارى ان نذهب يومنا هذا فنحتطب حطبا ونربط
حزمتين واذا اقبل الليل انطلقت انا الى بعض هذه الخيام واخذت
قبس نار واحتملت الحطب والقبس وقصدنا الى مسكنك
فجعلنا الحزمتين على بابه واضرمناهما نارا فان خرجت الحية
احترقت وان لزمت الحجر اهلكها الدخان فقال ظالم نعم الرأي
هذا فذهبا واحتطبا من الحطب حزمتين بقدر ما يطيقان

حملهما ولما جاء الليل واوقد اهل الخيام النار انطلق مفوض
ليأخذ قبسا فعمد ظالم الى احد الحزمتين فازالها الى موضع غيبها فيه
ثم جر الحزمة الاخرى الى باب مسكن مفوض وادخله وجذبها اليه
فادخلها في الباب فسده بها وقدر في نفسه ان مفوضا اذا اتى
الجحر لم يمكنه الدخول اليه لحصانته وان بابه مسدود بالحطب
سدا محكما فاكثر ما يقدر عليه ان يحاص فاذا ايس منه ذهب
ينظر الى نفسه ماوى وكان ظالم راى في مسكن مفوض طعمة ادخرها
لنفسه فعول ظالم على الاقتيات بها في مدة الحصار واذهله الشره
والحرص والبغي عن فساد هذا الراي وانه متعرض لما عزم مفوض ان
يفعله بالحية ولقد كان يقال احترس من تدبيرك على عدوك
كمثل احتراسك من تدبيره عليك فرب هالك بما دبر ومكر
وساقط في البير التي احتفر ۝ وجريح بالسلاح الذي شهر
ثم ان مفوضا جاء بالقبس فلم يجد ظالما ولا وجد الحطب فظن ان

ظالما قد احتمل الحزمتين معا تخفيفا عنه وانه بادر بهما نحو
جحره اشفاقا ان يأتي مفوض فيحمل احداهما فشق ذلك عليه وظهر له من
الراي ان يترك القبس ويبادر اليه ليلحقه فيحمل الحطب معه فالقى
القبس بين يديه ثم كره ان تنقله الريح فيحتاج الى طلب قبس اخر
فادخله في باب الجحر ليستره بذلك فاصاب الحطب فاضرمه نارا
واحترق ظالم في الجحر وحاق به مكره
فلما اطلع مفوض على امر ظالم قال ما رايت كالبغي سلاحا
اكثر عمله في منتحله ۝ ولهذا قيل الباغي يبحث عن مدية حتفه
بظلفه ومترد في مهاوي تدميره بمساوي تدبيره وقيل ما
اجتمع الملك والبغي على سرير الا خلا ۝ وقيل لكل عاثر راحم الا
الباغي وان القلوب مطبقة على الشماتة بمصرعه ۝ وقيل ما
اعطي البغي احدا شيئا الا واخذ منه اضعافه ۝ ثم ان مفوضا
امهل حتى طفئت النار فاخرج جيفة ظالم فالقاها واوطا

بحره على حال التحفظ والاحتراس من كيد الكايدين ⊙ فهذا مثل عمرو
بن سعيد في تغيبه ومخادعته عبد الملك ومخالفته الى دار ملكه
وتحصينه فيها ⊙ وكان عبد الملك في محرجه لابن الزبير عاملا
فيما توديه شره عمرو بن سعيد وبقا الملك في اهل بيته وخروجه
عن ابن الزبير اذ كان عز عبد الملك عز العمرو بن سعيد وملكه ملكا
له فلم يرض عمرا سعيه ولا اعانه على مصلحة نفسه وفعل كفعل
ظالم مع مفوض سوا فلما سمع عبد الملك ما ضرب له الشيخ
من المثل واستبصر فيما اودعه من الحكم سر بذلك سرورا عظيما
واقبل على الشيخ وقال له جزيت خيرا فقد عظمت يدك عندي
واني لاوثر ان اجعل بيني وبينك موعدا وتذكر لي مكانك لالقاك
به بعد يومي هذا ⊙ قال الشيخ وما الذي تريد بذلك
فقال له عبد الملك اني اومل ان اشفع برايك عند الامير فاكافيك
على ما كان منك فقال له الشيخ اني اعطيت الله عهدا ان لا

أحمل منه لبخيل فقال عبد الملك من اين علمت بخلي ايها الشيخ فقال
لم لا اعلم بخلك وقد ارجات صلتي ومكافاتي مع القدرة عليها وعلى تعجيلها
فما عليك لو وصلتني ببعض ما ارى عليك من السلاح والبزة
السنية ⊙ فقال عبد الملك اقسم بالله لقد ذهلت ثم نزع
سيفه وقال اقبل مني سيفي هذا لا اخدع عنه فان قيمته
عشرون الف درهم فقال الشيخ اني لا اقبل صلة ذاهل فدعني
وربي الذي لا يبخل ولا يذهل فهو حسبي فلما سمع عبد الملك
مقالته علم فضله في دينه وقال له اني انا عبد الملك فاعتمدني
وارفع الي حوايجك فقال له الشيخ وانا ايضا عبد المالك فهلم
نرفع حوايجنا الى من انت وانا له عبدان ⊙ فانطلق عبد الملك
فعمل برايه فانجح الله تعالى عمله فلما سمع الوليد ما اخبر
به ذلك الكهل استرجح عقله واستظرف ادبه وساله عن
نفسه فتسمى له وانتسب فلم يعرفه الوليد فاستحيا منه وقال

ان من حمل مثلك في رعيته لمضيع ⊙ فقال الكهل يا امير المؤمنين
ان الملوك لا تعرف الا من تعرف اليها ولزم ابوابها ⊙ فقال الوليد
كلا لا توسعنا عذرا الا تستحقه ثم امر له بصلة معجلة وعهد
اليه في ملازمته عهدا فكان يستمتع بادبه وحكمته الى
ان كان من امر الوليد ما هو مشهور

روضة رائقة ورياضة فائقة

قيل لما عزم محمد الامين على اخراج عهد الخلافة عن اخيه
عبد الله المامون والمامون اذ ذاك بخراسان كتب له الامين كتابا
يذكر له فيه حاجته الى لقائه ومفاوضته في مهم حدث وساله ان
يستنيب بخراسان من يضبطها ويعجل الشخوص الى بغداد ⊙ وكتب الى
المامون عيونه الذين ببغداد ان الامين يريد خلعه من عهد الخلافة
ونقل عهده الى موسى ابنه فلما وقف المامون على ما كتب به اخوه
اليه وعيونه شاور وزراه فاشاروا عليه بالتثبت والتعلل والاعتذار

لشغب خراسان وتطلع من يليها من الكفار الى الفرصة فيها وانه
لا يجد من يثق بكفايته لامرها فكتب المامون الى الامين بذلك
فعاود الامين مكاتبته يستحثه وانه لو قدم عليه لقبل لبثه
ببغداد حتى يرجع وانما يريده كي يفاوضه في امر جسيم لا تودع
مثله الكتب فحين انتهى كتابه الى المامون اطلع وزراه ايضا واستشارهم
فاشاروا عليه بمثل رايهم الاول فكتب الى الامين بنحو ما كتب به اليه
اولا وكتب الى الامين عيونه الذين بخراسان ان المامون قد فطن
لما يراد منه وانه ممتنع مشاقق وان وزراه قد اجمعوا على امره
في الامتناع فيئس الامين من تمام مكيدته باخيه وامر بالقبض على
من ببغداد من حشم المامون وبطانته وما ظهر عليه من امواله
وبلغ ذلك المامون فخامره الجزع وشاور وزراه فثبتوا على رايهم
وحثوه على التثبت وانتظار الفرج ففعل ولما راى الامين
اصرار اخيه على الامتناع دعا الناس الى البيعة لابنه موسى وهو

طفل صغير فاجابوه الى ذلك وبايعوه وسماه الناطق بالحق واستكفل
له علي بن عيسى بن ماهان فجعله في حجره وكان علي بن عيسى بن ماهان قد
ولي خراسان قبل ذلك مدة طويلة فاصطنع بها الرجال واعتقد
المنن في الاعناق وكان شانه بخراسان عظيما فاستشاره الامين
في امر خراسان وضمن له امرها وانه اخبر لو بلغ خراسان لم يختلف عليه
اثنان ممن بها فجهزه الامين اليها وولاه كل بلد يغلب عليها واعطاه
اموالا جزيلة وجهز معه جمهور جنوده واصحبه من السلاح
والكراع ما شا وبلغ ذلك المامون فاضطرب امره وعلم عجزه عن
مقاومة علي بن عيسى بن ماهان فركب الى منتزه له ليشاور
وزراه في ذلك فعارضه شيخ من الفرس مجوسي فناداه بالفارسية
مستغيثا به من مظلمة نالته فلما نظر المامون الى هرمه رق له
وامر ان يحمل على دابة ويتبع به الى الموضع الذي قصده ويدخل عليه
من غير استيذان **ولما استقر** المامون ووزراوه بذلك الموضع

له اذ دخل عليه الشيخ الفارسي فامره بالجلوس في حاشية المجلس ثم
اقبل على اصحابه واخبرهم بما صنع اخوه الامين من القبض على
حاشيته وماله وتجهيزه علي بن عيسى وهو يظن ان الشيخ لا يحسن
اللسان العربي وان ما به من الهرم شاغل له عن الاصغاء الى ما هم
فيه مع ما حمله ذلك من الجزع والاضطراب فلما راى القوم ان
المامون لم يتحفظ من الشيخ تفاوضوا فيما جلسوا اليه وطالت مناظرتهم
الى ان قال احدهم الراي عندي اصطناع اقوام من الاعاجم الذين لا يعرفون
علي بن عيسى فيلقى بهم ۞ وقال غيره الراي ان يبادر بالارسال
الى الامين بطلب الصفح وبذل الانقياد لامره فان في ذلك حظا
عظيما ۞ وقال بعضهم الراي ان يلجا الى بعض المعاقل فيعتصم
به وينتظر الفرج ۞ وقال غيره الراي ان يجمع اهل النجدة فيراح
عليهم ثم يقصد بهم بعض هذه المعاقل المجاورة لنا من ممالك الكفار
فيصدقهم القتال ولعل الله ان يظفر بما فيضمه الى مملكته تقوينا وربع

اليتا من هو على مثل رايتنا فنمتنع ونجاهد في سبيل الله حتى يقضي
الله امره وقال عتبة الراي عندي ايها الامير ان تتجاوز الى ملك
الترك مستنصرا به مستعينا على اجناد الغادر القاطع فهذا امر لم
تزل الملوك تفعله اذا دهمها ما لا قبل لها به ● فلما سمع المامون
هذه المقالة ركن اليها وعول على هذا الراي ثم افكر ● فقال كيف
اجعل للترك على حرب المسلمين سبيلا ● وقال لاصحابه قوموا عني
فنهضوا اجمعون والتفت فراى الشيخ الفارسي فقربه ورفق به وساله
عن امره وما قصد له على لسان ترجمان اقامه له ● فقال الشيخ ايها الامير
بلسان عربي اني جيت لحاجة فعرض لي دونها ما هو اوكد منها واولى
بالعناية ● فقال المامون قل ما احببت سالكا سبيل الادب فقال
الشيخ ايها الامير اني دخلت عليك وانا غير متصف بالمحبة لك فقذف
الله عز وجل في قلبي من المحبة للامير ما ملاه وانه كان
يقال الرق ثلثة انواع ● فاولها واشدها بالباطن استيعابا والظاهر

رق الاختراع وهو رق الله لصانع الاشيا ومخترعها ● والثاني
رق الاصطناع وهو رق المنعم عليه للمنعم ● والثالث رق
الاتباع وهو صنفان احدهما رق الحب وهو اقربها الى رق الاختراع
لان له سلطانا مبسوطا على الباطن والظاهر ● والثاني رق
الرغبة لراغبها ورق العبيد لساداتها ● وانا اخبر الامير
ايده الله انه قد تظافرت له على ثلث قوى من الرق ● رق الحب
ورق الاصطناع ● ورق الاتباع ● فان راى الامير اعزه الله ان
يتامل وسيلتي ويصدق املي ويسعف طلبتي ● فللمحبتي
رد الاختصاص ● ويمكنني بمكاشرة اولبابه ونصحابه فعل
ذلك متطولا به على غير محتاج اليه ● وان عبد لم يرجو ان
تصادف الصنيعة منه شاكرا ● والاختصاص به متشفقا
ناصحا ● فقال له المامون ما دينك ايها الشيخ قال مجوسي
فاطرق المامون مفكرا فيما تكلم به الشيخ فقال الشيخ لا يصدن

الامير عني حقارة قدري عنده وانه كان يقال لا تحقرن من الاتباع
احدا فانك تشفع به كائنا من كان وهو احد رجلين ⊙ اما شريف
فيزينك وتتجمل به ⊙ واما وضيع فيحمي عرضك ويصون
مروتك ⊙ وعلى اني لست اعني بحقارة قدري عند الامير
حقارة اخلاق ولا حقارة اعراق اما الاخلاق فامتحانها بيد
الامير ⊙ واما الاعراق فاني ابن عمتي من ولد البرهمن سيد ملوك
الفرس المتوسط بينهما وبين اول الاوايل ⊙ وانما اعني حقارة
دنيتي عند الامير وكوني في عقيد ذمته وصغار جزيته
فقال المامون ما ابنا عنك ايها الشيخ رغبة ⊙ وان
انتقلت من ذمتنا الى ملتنا الحقناك شعارا ⊙ فقال الشيخ
ان البلغت من نفسي الى ما دعاني اليه الامير لشديد ولكن
لا افعله في مقامي هذا ولعلي ان افعله فيما بعد ثم قال اباذن
الامير ان اتكلم فيما فاوض الان وزراه فيه ⊙ فقال المامون تكلم

تكلم فقال الشيخ قد سمعت ما تكلم به وزرا الامير وكلهم منهم
مجتهد مصيب ولست ارضى شيئا مما ذهبوا اليه ⊙ فقال
المامون اطلعنا على رايك ⊙ فقال الشيخ اني اجد في الحكم
التي رونها اباي عن ابايهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه ما لا قبل
له به ان يلزم نفسه التسليم لحكم قاسم الحظوظ ولا يضيع مع
ذلك نصيبه من الدفاع بحسب طاقته ⊙ فانه ان لم يحصل
على الظفر حصل على العذر ⊙ وقال المامون ايها الشيخ
انه كان يقال لا راي لمكذوب ● وقد سمحت انفسنا بالثقة
لك من غير امتحان وما ذاك لاختيارنا اضاعة الحزم ولكنا
احببنا ان نذيقك ثمرة حسن المكاشفة الدالة على القبول وها
نحن نخبرك ان هذا المتوجه الينا اعني علي بن عيسى بن ماهان
هو املك بالبلد منا ولا يمكننا مقاومته لو اراد ذلك لتعذر
الاسوال قبلنا فقال الشيخ ايها الامير ينبغي ان تنحو اهل الامر

من قبلك بالجملة ولا تصغي الى من ينطق به فانه كان يقال ما كثر
من كثرة البغي ولا اقوى من قوة الظلم ولا املك من ملكه الغضب
وانا احدثك عمن لن حذوت مثاله نلت مناله ۞ فقال له المامون
هات ما عندك ۞ فقال الشيخ الفارسي ان الخنشوار ملك الهياطلة
لما اسر فيروز بن يزدجرد ملك فارس واراد اطلاقه اخذ عليه عهدا
ان لا يغزوه ولا يقصده بمكروه ووضع في اقصى تخوم الهياطلة صخرة
واخذ على فيروز عهدا ان لا يتجاوز تلك الصخرة ولما استوثق الخنشوار
من فيروز بما اخذ عليه من المواثيق والعهود والمسالمة اطلقه فحين
رجع فيروز الى دار ملكه داخلته الحمية والانفة ۞ فعزم
على غزو الخنشوار واطلع وزراه على ذلك فحذروه النكث وخوفوه
عاقبة البغي فما رده ذلك عما هم به فاذكروه العهود التي اخذها
عليه الخنشوار ۞ فقال لهم اني انما حلفت له ان لا اتجاوز تلك
الصخرة وانما امر بحملها على فيل يكون بين يدي جنوده لا يتجاوزها احد منهم

فلما راوا ان الهوى قد وقف به على حد الرضى بهذا القول علموا انقياد عقله
لشهوته فامسكوا عنه وعقدوا ان لا يراجعوه في ذلك وكان
يقال الهوى صدا يعلو العقل فلا تنطبع فيه صورة الحقائق
وكان يقال ما لم يبلغ الهوى حد اللجاج فهو نشوة السكر فاذا بلغ
اللجاج فذلك رين السكر وقوة سلطانه ۞ وكان يقال لا يرشد
تابع الهوى في حال استيلاء الشهوة والغضب عليه لانها حال
احتجاب عقله وذلك ان الهوى املك بالنفس لتقدم سلطانه
عليها فاما سلطان العقل فطارئ مستفاد وللعقل حجابان
وهما الشهوة والغضب فلا يزال العقل ناظرا الى الهوى قاهرا له ما لم
يحجبه شهوة او غضب فحينئذ ينبسط سلطان الهوى وينفذ حكمه
قال فجمع فيروز مرازبته وهم اربعة يتبع كل مرزبان منهم خمسون
الف مقاتل كان كل واحد منهم ضابطا لربع من ارباع مملكة بابل
وامرهم بالتجهز لحرب الهياطلة ففعلوا وسار فيروز نحو الخنشوار في

جيوش ويظن ان لا غالب لها وكان الخنشوار ضعيفاً عن مقاومة
مرزبان من مرازبة فيروز وانما كان ظفره بفيروز واولاده وتمكنه لبس هذا
موضع ذكرها • وقد كان موبذان موبذ ومعنى هذا اللقب
حافظ حفظة الدين وهو عند الفرس كالنبي • قال لفيروز حين عزم
على غزو الخنشوار لا تفعل ايها الملك فان رب العالم يمهل الملوك على
الجور ما لم ياخذوا في هدم ركن من اركان الشريعة فاذا اخذوا في
ذلك لم يمهلهم وان العهود والمواثيق ركن من اركان الشريعة فلا تنقض
له بيعة فلم يلتفت فيروز لمقالته وركب راسه هواه في معصية
اصحابه ونصحائه **وكان يقال** يستدل على ادبار الملك
بخمسة اشيا احدها ان يستكفي الملك الاحداث ومن لا خبرة
له بعواقب الامور • والثاني ان يبغض اهله مودته بالادب • والثالث
ان ينقص خراجه عن مؤونة ملكه • والرابع ان يكون
تقريبه وابعاده للهوى لا للراي • والخامس استهانته بنصائح العقلاء

وآراء ذوي التجربة • وكان يقال من عصى نصيحاً فقد استفاد عدواً
وكان يقال انما يكون قبول الصواب ورده بحسب قوة التخيل الفكري
وضعفه فمن قوي تخيل فكره فهو في سلطان الراي غالب ومن
ضعف فكره فهو في سلطان الهوى مغلوب • وعلى هذا القانون
من عدم الفكرة في الامور التحق بالبهايم **قال الشيخ** الفارس
وان فيروز سار قاصداً نحو الخنشوار حتى انتهى الى تلك الصخرة التي نصبها
الخنشوار علماً للارض واستحلف فيروز ان لا يجاوزها امر فيروز بقلعها
وحملها على فيل بين يدي عسكره ونهى ان لا يتجاوز ذلك الفيل احد
من العسكر فلما بعد عن ذلك الموضع الذي كانت فيه الصخرة حتى جاز
رجل من اصحابه فاخبره ان اسواراً عظيم القدر من اساورته قتل
رجلاً مسكيناً ظلماً وعدواناً وجاء اخو ذلك المسكين فاستعان بفيروز
وتظلم من الاسوار فقال اجبه فامر له فيروز بمال لترضيه به عن دم
اخيه فابا قبول المال وقال • ما يرضيني الا دم قاتل اخي فامر فيروز

بطرده فانطلق من فوره الى ذلك الاسوار الذي قتل اخاه فشد عليه
بخنجر في يده فلما رآه الاسوار حرك فرسه هاربا بين يديه وبلغ الخبر
لفيروز فتعجب من ذلك فنزل وزير من وزراء فيروز عن دابته وتقدم
بين يدي دابة فيروز وسجد له وساله فيروز عن امره فاعلمه انه يريد الكلام
معه في امر مهم عرض له فامر فيروز فضربت له قبة فسطاط فنزل فيها
وامر لذلك الوزير فدخل عليه فامره ان يذكر ما عنده ◉ فقال له
ايها الملك السعيد ملكت الاقاليم السبع وعمرت مثل ما عمر ثبور السيف
في مثل عزته وقوته لقد ظهرت بك عناية اول الاوايل ما ضربه لك
من المثل في امر هذا الاسوار اذ كان اسوارا نجدا هرب بين يدي مسكين
في يده خنجر وما ذاك الا لتعديه وبغيه ◉ فقال فيروز انه لم
يفر عنه لعجزه عنه بل لخوفه منا ولم يكن ليفعل تلك الفعلة الشنيعة
فيشفعها بمثلها فقال الوزير ايها الملك ان ابيت ان تدعونه الى
مبارزة ذلك المسكين وامنته من سطوتك فظهر لك المسكين

عليها

عليه اما تعلم ان هذا مثل ضربه لك قيم العالم ◉ فقال الملك
لافعلن ذلك ثم انه احضر الاسوار فامنه وامره بمبارزة ذلك المسكين
الثائر باخيه فاجاب الى ذلك وجمع عليه سلاحه وركب فرسه
واتى بذلك المسكين فعرضت عليه مبارزته فاظهر الرغبة فيها واجر
عليها تخوف من الهلاك فلم يخف فقيل له اما ترى درعه وسلاحه
وفرسه اما تخاف بغير سبيله وتجربته واقدامه وانك مهلك نفسك
ومستميت ولا اثم علينا فيك ◉ فقال لهم المسكين دعوني واياه
فانه على فرس الغرور وانا على فرس البصيرة ◉ وهو لابس درع الشك وانا
لابس درع اليقين ◉ وهو يقاتل بسيف البغي وانا اقاتل بسيف الحق ◉
فقال الوزير لفيروز ايها الملك ان كلام هذا المسكين ابلغ في المثلية
والموعظة من ظفره بالاسوار فقتل اسوارك واستبق نفسه ولا تعرضه
للهلكة بلقاء هذا المسكين واعمل في رضى هذا المسكين بالاحسان
فاحضره
اليه فان لم يرضه الا القصاص فانظر بالعدل المالوف منك ∴

واستدام عتابه الأول لأخيك وتعتبنك بالحق الذي يرضيه العمل
به ويسخطه اجتنابه ⊙ فقال فيروز لابد ان اخلي بينهما وانظر الى ما يكون
منهما ان كان المسكين يختار ذلك ويرغب فيه ⊙ فاعادوا عرض مبارزة الا سوار
على المسكين فأصر على الرغبة فيها والحرص عليها وخوفوه الهلاك فلم يزده
تخوفهم الا اجراة واقداما فقيل للاسوار القه ولا تخين عنه فحمل كل واحد
منهما على الآخر فالتقيا وقبض المسكين على شكيمة فرس الاسوار وضربه
الاسوار بالسيف ضربة نطاطا لها المسكين فاصاب ذباب السيف
البيضة فاثر فيها اثرا ليس بالكبير ثم ثار اليه المسكين فضربه بالخنجر
في عنقه وجذبه فصرعه ونحره وهو ملقى ضربة اخرى فادخل حلقانه
من الذرع في جوفه وقضى عليه ⊙ فبات فيروز تلك الليلة متفكرا
فيما اتاه من الامر ثم انه استقاد لهواه فنفذ لوجهه **وكان يقال**
اول الهوى هون واخره هون ⊙ وكان يقال الهوى طاغية من ملكه
اهلكه ⊙ وكان يقال الهوى كالنار اذا استحكم ايقادها

عسر

عسر اخمادها ⊙ وكالسيل اذا اتصل مدده ⊙ تعذر صدها
وكان يقال ليس الاسير من اوثقه عداه اسرا وانما الاسير من اوثقه
هواه فسرا ⊙ وارهقه خسرا **قال الشيخ الفارسي** ولما علم الخشنوار
بقصد فيروز لحربه حمل على نفسه التثبت ووكل الامر الى الاول الآخر
وسأله ان يغضب لعهوده ومواثيقه التي لم يرع فيروز حقها
ولا خاف تبعة نكثها ⊙ واخذ مع ذلك بحظه من الحزم فسد
ثغوره وجمع اليه جنوده واعد للقاء فيروز عدته واهمل حتى وطئ
فيروز كثيرا من ارضه وتوسط مملكته وعاث في بلاده وسعى على
الرغبة اثره ⊙ فنهض اليه ففاجاه وصدقه الجلاد فانكشف فيروز
منهزما واسلم ما كان في يديه فقتل الخشنوار رجاله وغنم امواله
وامعن في طلب فيروز حتى ظفر به فقتله واسر اهل بيته وحماة اصحابه
فكانت العاقبة له **قيل** فلما سمع المامون ما ضربه له الشيخ
الفارسي من مثل اقبل عليه مستبشرا فقال له قد سمعنا مقالتك

فصادفت منا قبولاً لها وشكراً عليها وسروراً بها فما ذا ترى فيما
دعوناك إليه من توحيد الله تعالى الذي أجزل من العقل حظك ووفق
بالمعرفة فكرك وانطق بالحكمة لسانك وقطع بمحمد صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه وسلم لسانك وحجتك وعذرك ○ فقال الشيخ أشهد
أن لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم
فسر المأمون بإسلامه وأجزل صلته وقرب منزلته وألحقه
بخاصة أصحابه وأمره بملازمة بابه فما لبث إلا أياماً قلائل
حتى توفاه الله تعالى ○ وعمل للمأمون رأيه وأنجح الله عمله وبلغه من الخلافة أمله ○

السلوانة الثانية وهي سلوانة التأسي

أنزل الله ربنا تقدس اسمه في السورة المذكور فيها الأحزاب ○
آيات معجزات طبقن المفصل المقصود بهذا الكتاب وهو تأسي الملوك
في طولم العوام والله ربنا المحمود على الهداية للدلالة عليها والهداية إليها

وذلك

وذلك قوله سبحانه في المتألبين على خليفته في إرهاضه الداعي إلى
مندوبه وفرضه ○ صلى الله عليه وسلم إذ جاءوكم من فوقكم
ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر
وقوله تعالى هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ○
وقوله عز وجل في تردد من ضعفت بصيرته حينئذ وتظنون
بالله الظنونا ○ وقوله جل وعز في نجوم النفاق وجرأة أهله
على إظهار ما كانوا يسرونه حين رأوا أن المؤمنين قد ابتلوا
وزلزلوا وإذ يقول ○ المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا
الله ورسوله إلا غروراً ○ وقوله سبحانه في القاعدين عن
نصرة الحق المخذلين من أراد نصره ○ قد يعلم الله المعوقين منكم
والقائلين لإخوانهم هلم إلينا الآية ○ وقوله تعالى فيهم
وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقوله
عز وجل في المتسللين لواذاً استئذان فريق منهم النبي يقولون إن

زلزالاً شديداً

وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا

بيوتنا عورة الآية ۞ وقوله عز وجل في تجار أسواق الفتن الذين
يستجيبون لكل داع ۞ ويتبعون كل ساع ۞ ولو دخلت عليهم من
أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها الآية ۞ وقوله تعالى في تعجيز
الحذر عن مغالبة القدر ۞ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت
أو القتل الآية ۞ والتي بعدها وهي قوله تعالى من ذا الذي يعصمكم من
الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة الآية **فهذه جمل** طوام العوام
والامتحان بما على ما أدب به رسوله عليه السلام ۞ بقوله عز وجل
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ۞ ومما أدب الله به
رسوله صلى الله عليه وسلم التأسي ۞ فقال عز من قائل ولقد
كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا
ثم عرف الله تعالى رسوله عليه السلام أن إضاعة التأسي وتركه
العمل به لا يجلب إليه حظا ۞ فقال سبحانه وإن كان كبر عليك إعراضهم
الآية ۞ واعلم أن التأسي مفترض عليه بقوله عز وجل فاصبر

كما

كما صبر أولوا العزم من الرسل ۞ وقوله تعالى أولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده ۞ فهذا أمر جزم ۞ وروي أن رسول الله صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه وسلم ۞ قال إن الله أدبني فأحسن أدبي
فالتأسي مما أدب الله به رسوله بل مما افترضه عليه كما بينا ومعنى
التأسي عند الأئمة أن تنظر إلى بي غيرك أي إلى حزنه وأنه مثل
أسائك أي مثل حزنك فتصبر والأسى هو الحزن ۞ ولا يعجبني هذا
وهو عندي مأخوذ من قولهم أسوت الجرح والجرح أي داويته
والآسي هو الطبيب المداوي فكان بمعنى التأسي التطبب والتداوي بالصبر
والأسوة اسم من هذا والتأسي تفعل من الأسوة ولو كان ما ذهبوا إليه
لكان معنى التأسي التحزن ۞ يقول أسيت أي حزنت وتأسيت أي تحزنت

خبر نبوي في التأسي

ثم روينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انظروا إلى من هو أسفل
منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم

قال محمد عفا الله عنه ان هذا الحديث لحسن الموقع مما نحن فيه ولا
ينبغي ان يقتصر بلفظه عن طلق ابهامه وموجب عمومه والذي يوجبه
عمومه انه امر لمن كان في نعمة دقيقة ان ينظر الى من هو في نعمة ادق
منها ٥ وامر لمن كان في بلاء ان ينظر الى من هو في بلاء اشد من بلائه
فانه دونه واسفل منه في حظ المعافاة المطلوبة وهذا المخفف
عنه حظه اوفر واعلى ٥ فذو النعمة منعم عليه ومحسن اليه بما
يفوق بما انعم به على غيره ٥ وذو البلاء منعم عليه بنقص بلائه
عن بلاء غيره وبمعافاته من الابتلاء بتلك الزيادة التي ابتلي بها
غيره وانما كان هذا الخبر مبلغا في باب التأسي لانه ينقل مستعظم
البلاء الذي نزل به الى ان يستصغره باضافته الى ما ابتلي به غيره
ويحثه على شكر ما فضل به من حظ المعافاة التي فضل بها على
غيره وهذه درجة اعلى من درجة التأسي المطلق لان التأسي
المطلق لا يفيد حظا على شكر ما فضل به ولا بصور النعمة المخففة

في صور

من الشكر

في صور النعمة وانما يثمر الصبر خاصة ٥ وهذا الحديث يثمر الصبر
ثم الشكر ٥

اسجاع وابيات حكمية في التأسي

التأسي جنة البلاء وسنة النبلاء ٥ التأسي درج الاصطبار ٥
كما ان الجزع درك التبار ٥ انه ينبغي لذي البصيرة ان يرى النعم في صور
العواري المسترجعة والودائع المنتزعة فمتى لم يفعل ذلك اعظم فقدها
وجور النعم اذا استردها كما لا ينبغي ان لا يذهل عن حظوظ جنسه
منها ودولتهم فيها فاذا زالت عنه وصارت اليهم لم ينكر اخذهم
انصباءهم وتناصيبهم حظوظهم وليتأس بصبرهم عند حوزه لها
دونهم وصبر لدولتهم الخالفة ٥ كما صبروا لدولته السالفة
ولا نصدقة المتصدقين واقراض المقرضين وضيافة المضيفين
وما يلتحق بذلك من ضروب المواساة في المال وفي القوة وفي
الجاه انما ندب اليه المواسون فيه ليتأسى بها المنعم باعطاء الجنس
حظوظهم منها وفي هذه الجملة الحكمية لمن تدبرها منافع والله المستعان

أنشدني بعض الملوك لنفسه في حال شدة نزلت به

نحن من قد علمت بطشا وحلما ولنا المجد الأغر الأعز ⊙

ولنا أنفس عوارف بالدهر تأسى حين الأسى يستفز ⊙

وحضرت عنده يوما من أيام شدته فأنشدني لنفسه

قربني دهري فلم يلفني أطمع في تأبيد تقريبه ⊙

ثم تناءى عني فلم يلفني أجزع من أصناف تعذيبه ⊙

ثم قال لي أجز فقلت

والحمد لله على حكمه فقوتي منه وحولي به ⊙

وقال لي يوما وقد حادثته على ما يبعثه على التأسي

أنشدني في ذلك شعرا فأنشدته للخنساء

ألا يا صخر لا أنساك حتى أفارق عيشتي وأزور رمسي ⊙

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي ⊙

وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنهم بالتأسي ⊙

فقال

فقال لي هذا الخلق من طيلسان بني حرب أسمع وأنشدني لنفسه

نقبض كما يقبض النبل جودا ونقدم مثل إقدام الحسام

وإن نزلت بنا كبر الرزايا تأسينا بأملاك كرام

روضة رائقة ورياضة فائقة

قال لما عزم سابور بن هرمز على الدخول إلى بلاد الروم متنكرا
متجسسا نهاه نصحاؤه وحذروه التغرير بنفسه في أمر يمكنه أن
يستنيب فيه فعصاهم ⊙ وكان يقال أشقى الناس وزراء الأحداث
من الملوك وغشيان الفتيان من الشيوخ ⊙ وكان يقال إنما عبر
صرف الأحداث عن غي الهوى إلى رشد الرأي لأمرين أحدهما قوة
سلطان الشهوات والثاني أن التجارب لم ترض قواهم على مخالفة هواهم
وذو الحنكة بخلاف ذلك ⊙ ثم إن سابور توجه نحو بلاد الروم
واستصحب وزيرا كان له ولأبيه من قبله وكان شيخا ذا دهاء وحزم
وسداد رأي وحنكة وبصر بالديانات واللغات وتبحر في العلوم وخبرة

في المكايد فسلّم اليه سابور جميع ما يظن ان به اليه حاجة او بدٌ عوّه ○
اليه داعية وامره ان يتجاوز عنه في قرب منه وهو اعانه
في جميع احواله في نهاره وليله وتوجها معا نحو الشام فتزيا
ذلك الوزير بزي الرهبان وتكلم بلسان اهل الخلافة وتحرف بصناعة
الطب الجرائحي وكان معه الدهن الصيني الذي اذا دهنت منه الجراح
برأت وانه ملتئم في الحال ○ قال محمد قد رايت جماعة ذكروا انهم
راوا هذا الدهن المذكور وحدثني بعضهم انه امتحنه بان شرح اللحم
ودهنه منه فالتام في الحين وكان ذلك الوزير في حين مسيره نحو
بلاد الروم وبعد ما دخلها يداوي الجرحى بادوية يضيف اليها
شيا يسيرا من ذلك الدهن فتبرا بسرعة واذا عني باحد من ذوي
الاقدار داواه بذلك الدهن صرفا فيبرا مكانه فلا ياخذ على المداواه
اجرا فانتشر له في بلاد الروم ذكر وصيت بالعلم والزهد وكان
يقال من زرع العلم اجتنى النباهة ○ ومن غرس الزهد اجتنى العزة

ومن غرس

ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ○ ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة
ومن غرس الوفا اجتنى المهابة ○ ومن غرس المداراة اجتنى السلامة
ومن غرس الكبر اجتنى المقت ○ ومن غرس الحرص اجتنى الذل
ومن غرس الطمع اجتنى الخزي ○ ومن غرس الحسد اجتنى الكمد
وكان يقال الامم على اختلاف اديانها وازمانها وبلدانها متفقة
على اخلاق اربع ○ العلم ○ والزهد ○ والاحسان ○ والامانة ●
قيل فانطلق سابور ووزيره منفردين الا ان الوزير يراعي احوال سابور
اشد المراعاة فلم يزالا على ذلك حتى طافا جميع الروم والشام وتجاوزا
الدروب وقصدا القسطنطينية العظمى فقدماها وذهب الوزير
الى البطريك وتفسير هذا اللقب ابو الآباء فاستاذن عليه فاذن له
وساله عما يريد فاخبره انه هاجر من ارض الخلافة ليتشرف
بخدمته ويدخل في اتباعه واهدى اليه اشياء وهدية نفيسة
حسن موقعها من البطريك فقربه وأدناه واحسن نزله والحقه

يبطانته واختبره فوجده لبيبا ممتعا فأعجب به غاية الاعجاب
وجعل الوزير يتأمل اخلاق البطريك ليصحبه بما يوافقه ويتفق
عنده ويحسن موقعه منه **وكان يقال** اذا اردت صحبة
رئيس فانظر ما يستميله ويتفق عليه من الالات فان كنت مطيقا
للعمل بها في طلب اقباله عليك وحظوتك عنده فاقدم عليه والا فارض
نفسك على ذلك حتى تعلم انها قد اطاقته واحكمته فتقدم على
بصيرة قيل فلما تأمل وزير سابور اخلاق البطريك وجده
مايلا الى الفكاهات معجبا بنوادر الاخبار اخذ الوزير يتحفه
من ذلك بكل نادرة عجيبة وملحة غريبة فلم تطل المدة صحبته
حتى حل بعينه وقلبه وصار الصق به من شعرات بصره وجعل
الوزير مع ذلك يعالج الجرحى ولا ياخذ على ذلك عوضا فعظم
قدره في الناس ومقته القلوب ⊙ **وكان يقال** اذا كانت العقول
مجبولة على مقة المحسنين وكانت المحبة رقا فالاحرار يكرهون
الاسترقاق

الاسترقاق والحر على الحقيقة من فدى نفسه من رق المحسنين
بمكافاتهم على احسانهم حمدهم حتى اذا لم يستطع فليبق نفسه لهم
معذورا وجعل الوزير يتعاهد احوال سابور في كل وقت الى ان
صنع قيصر وليمة عظيمة وحشر اليها الناس على طبقاتهم وتهدد
من تخلف عنها فاراد سابور حضورها ليطلع على هيئة قيصر
وهمته في قصره وذخايره فنهاه وزيره عن التغرير بنفسه فعصاه
وتزيا بزي ظن انه يستتر به امره ودخل دار قيصر مع من حضر
الوليمة وقد كان قيصر لما بلغه ما ايد الله به سابور من لطف
الفطنة وعظم الهمة وشدة الباس في حال صباه حذره حذرا شديدا
فبعث الى حضرته بمصور ماهر فحكى صورة سابور في مجلسه وحال
ركوبه وغير ذلك من ضروب الاحوال التي شاهده عليها المصور
وقدم بتلك الصور على قيصر فامر قيصر ان تصور تلك الصور على
فرشه وستوره والات اكله وشربه فصنع ذلك على ما امر به ورسمه

ولما دخل سابور دار قيصر واستقر في مجلسه وطعم من حضر ذلك
أوتوا بالشراب في كؤوس البلور والذهب والفضة والزجاج المحكم
وكان في المجلس رجل من حكما الروم ودهاتهم ذو فراسة صادقة
فلما وقعت عينه على سابور أنكره وجعل يتأمل شخصه واشارته
وصورته فرأى عليه مخايل الرياسة فطفق يستشفه ببصره ولا
يصرف بصره عنه فأتي ذلك المفسر بكاس فيه صورة سابور
فتأملها وانطبعت في نفسه مثالاً لذلك الشخص الذي أنكره وغلب
عليه ظنه أنه سابور فأمسك القدح في يده امساكا طويلا
ثم قال رافعا صوته ان هذه الصورة التي في هذا القدح تخبرني
خبرا عجيبا ⊙ فقيل له ما الذي تخبرك به فقال تخبرني هذه
الصورة ان هذا الذي هي مثال له في مجلسنا هذا ونظر الى سابور
وقد تغير حين سمع مقالته فقوي ظنه وأعاد القول فبلغ كلامه
قيصر فأدناه وسأله فأخبره ان سابور معه في مجلسه وأشار اليه
فأمر

فأمر قيصر بالقبض على سابور فقبض عليه وقرب من قيصر وسأله
عن نفسه فتعلل بضروب من العلل فقال ذلك المفسر لا تقبلوا
قوله فهو سابور لا محالة فأمر قيصر بقتله ليرعبه بذلك وليعرف
لهم أنه سابور ⊙ **وكان يقال** قلوب الحكماء تستشف الاسرار
من لمحات الابصار ⊙ وطالما دلت أوايل المبصرات على أواخر
المنتظرات ⊙ وقيل كما ان الابصار مرآي تنطبع فيها المشاهدات
اذا سلمت من صدا الآفات ⊙ فكذلك العقول تنطبع فيها بعض
الغائبات اذا سلمت من صدا الشهوات ⊙ وقيل من الادلة على مكا شفة ⊙
الله القلوب ببعض الغيوب ان الانسان قد يتوقع الشي يكرهه
أو يحبه ثم يكون ذلك الشي الذي يتوقع على نحو ما يتوقع منه فقد يرى
الانسان الانسان فيحبه لغير احسان فرط منه اليه أو يبغضه
لغير اساءة جناها عليه ثم يكون منه الاحسان والاساءة قيل
فلما اعترف سابور بصدق ذلك المفسر حبسه قيصر مكرها وأمر

فعملت له من جلود البقر صورة كأعظم ما يكون من البقر وطبقت عليها
الجلود سبع طبقات واتخذ لها بابا من اعلاها في ظهر الصورة يدخل اليها
ويخرج منها وجعلت فيها كوة في اسفلها في موضع المبال وأمر سابور
فجمعت يداه الى عنقه بجامعة من الذهب ذات سلسلة بكفه معها
تناول ما يصلحه من طعامه وشرابه وغير ذلك وادخل سابور في
جوف الصورة هذه بعد ان حشد قيصر جنوده واستعد لغزو بلاد
الفرس ووكل بتلك الصورة التي سجن فيها سابور ما يحل من ذوي
الباس والنجدة والشدة يحملونها دولابيهم وجعل على كل خمسة منهم
رئيسا يضبط امرهم وصرف امر جميعهم الى المطران ومعنى هذا اللقب
صاحب البلد وهي رياسة دينية وهو خليفة البطريك فكانت تلك
الصورة تحمل بين يدي المطران فاذا نزل العسكر انزلت تلك الصورة
التي فيها سابور في وسط العسكر وضربت عليها قبة تسترها واطافت
بها خمسون من الموكلين بها ورؤساؤهم معهم وضربت حولها عشر

قباب

قباب مستديرة بها وفي كل قبة خمسة ورئيسهم معهم وضربت
للمطران قبة مجاورة قبة سابور وضربت خارج القباب كلها اخبية
يصنع فيها طعام الموكلين بقبة سابور على حسب اقدارهم ومراتبهم
وسار قيصر محتفلا في جنوده وقد عزم على اخراب بلاد الفرس
وتعفية معالم ملكهم لعلمه ان لا دافع يدفع عنهم **وكان**
يقال الحزم التزام مداجاة العدو ما دام مستظهرا ولته ريح اقبال
كما ان العجز اضاعة الفرصة فيه اذا ادبرت دولته وركدت ريح
اقباله ⊙ وكان يقال العاقل لا يكون في سلطان ملك اجتمعت
فيه خصلتان الانهماك في اللذات واضاعة الفرص وكان يقال
تمييز الملوك عن السوقة انما يكون بفضيلة الذات لا بفضيلة الآلات
وفضيلة ذات الملوك بخمس خصال ⊙ رحمة تشمل رعيته
ويقظة تحوطهم ⊙ وصولة تذب عنهم ⊙ ولبانة يكيد بها الاعداء
واما فضيلة الأدوات ⊙ فاتخاذ المباني الوثيقة العلية ⊙ والملابس

الانيقة السرية ⊙ والذخاير النفيسة السنية ⊙ والمطاعم الشهية
والمراكب البهية ⊙ فمنه فضيلة تفضل بها هذه الادوات على ما هو
دونها من اجناسها فيكون للقصر فضل على غيره من القصور وللثوب
فضل على غيره من الثياب ⊙ وللذخيرة فضل على غيرها من الذخاير
وللطعام فضل على غيره من الاطعمة ⊙ وللدابة فضل على غيرها
من الدواب ⊙ فالفضيلة لهذه الاشياء لا لمالكها فيك
فلما سار قيصر بجنوده ومعه سابور على الهيئة التي ذكرناها قال
وزير سابور للبطريك انما استفدت بجدّ منك والقرب منك الرغبة في
صالح الاعمال وانه لا عمل انفس من تنفيس كربة عن مجهود وجبر
شفعة الى مضطر ⊙ وقد علمت كفايتي على مداواة وان نفسي تنازع
الى صحبة الملك قيصر في سفره هذا فلعل الله تعالى ان يستنقذ بي
نفسا صالحة يترحم علي من اجلها ويقدس فليتخذ منها وحفظني لها
فكره البطريك ذلك وقال له قد علمت اني لا استطيع مفارقتك
ساعة

٣٣

ساعة فكيف تطالبني بالسفر البعيد عني ما ظننت انك تلقاني بما
اكرهه وتسومني ما يشق على احتماله كما لم اظن انك تؤثر شيا من
الاشياء على القرب مني والتحبب الي فلقد ابن لي عن حسن طويتك
ولم يزل الوزير يتضرع الى البطريك ويتملق له ويتوسل العود الى
ان سمح له بذلك ⊙ فاذن له وزوده وكتب معه الى المطران كتابا
يخبره فيه انه قد بعث اليه بسويداء قلبه وسواد بصره فليحله
من نفسه باعلى المراتب وليستقضي برايه فيما اشكل عليه فقدم
دبر سابور على المطران فعرف له حقه وانزله معه في بيته وجعل
زمام امره ونهيه في يده ⊙ وجعل الوزير ينفق على المطران بما
يعجبه ويستميله بما يميل اليه ويطرفه كل ليلة باخبار ممتعة
رافعا بها صوته ليسمع سابور حديثه فيتسلى بذلك ويدرس
في احاديثه ما يحب ان يعلم به سابور من اخبار وتفطنه له من
الاسرار فكان سابور يجد لذلك اعظم راحة وكان الوزير قد لعد

لخلاص سابور انواعا من المكايد نبههم واستسهلها عند ما اقدم على المطران
وكان يقال من ظن من الملوك ان فطنته على فطنة وزيره فضيلة
فقد غلط وان اضاف الى هذا الغلط مخالفة الوزير لم يفلح وانما
كانت الوزراء اثقب من فطن الملوك لان الملوك ينفقون ابدا في سياسة
الملوك وسياسة الرعايا فهم اشبه شي بالجوارح التي تصيد وتفترس
وتصيدها ايضا جوارح اشد منها فهي اعرف الجوارح بمكايد الاحتراس
ومكايد الاكتساب ⊙ وكان يقال احسن الوزراء حالا من اعد
لكل امر يجوز توقعه ويمكن كونه عدة فاذا وقع الامر قابله بما كان اعد
له واسوا الوزراء حالا من توكل على لطف فطنته وقوة حيلته ودربته
وممارسته فترك الاعداد للامور قبل نزولها ثقة بنفسه وانما هو
في ذلك بمنزلة من ترك القول واعداد رويته توكلا على فصاحة لسانه
وقوة بديهته وحسن ارتجاله فيوشك ان يستولي عليه الحصر
والعي في بعض مقاماته وبمنزلة من ترك السلاح توكلا على قوة بدنه
وشجاعته

فطن [illegible]

وشجاعة قلبه فيوشك ان يظفر به عدوه في بعض المواطن ⊙ ٥
فسل [?] وكان من المكايد التي اعدها وزير سابور انه امتنع من مواكلة
المطران وزعم انه لا يريد ان يخلط بالطعام الذي يوده البطريق طعاما
غيره لما يرجوه من بركة الاغتذاء به فكان اذا احضر طعام المطران
اخرج هو من ذلك الزاد وانفرد بالاكل منه فلم يزل قيصر سائرا
بجنوده حتى بلغ ارض فارس فاكثر فيها القتل والسبي وتغوير المياه
وقطع الشجر واخراب القرى والحصون وهو مع ذلك يواصل السير
مبادرا ليستولي على دار ملك سابور ويباغتهم بها من رؤساء
الفرس من قبل ان يملكوا عليهم رجلا ولم يكن للفرس هم الا الفرار من
بين يديه والاعتصام منه بالمعاقل فلم يزل قيصر على تلك الحال حتى
بلغ مدينة سابور وقرارة ملكه وهي المسماه جندي سابور فلما ⊙ ط
نزلها جنوده ونصب عليها المجانيق ولم يكن عند من بها من عظماء
الفرس حيلة في دفعه باكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها وكل هذا

قد علمه سابور على التفصيل فيما يفهمه له ورزين ويدسه له في احاديثه
من الاشارات والرموز والكنايات وكان سابور لم تسمع منه كلمة منذ
سجنه قيصر في تلك الصورة فلما علم سابور ان قيصر قد ثقلت وطأته
على اهل جندي سابور وقد ثلم الاسوار بالمجانيق واشرف على افتتاح البلد
عيل صبره وساطته بوزرين وجزع ويئس من النجاة مما هو فيه فلما جاءه
الموكل بطعامه قال له ان هذه الجامعة قد نالت مني منالا اضعفت
عن احتماله فان كنتم تريدون بقاء نفسي فنفسوا عني شيئا منها واجعلوا
بينها وبين عنقي وبدني خرقا من الحرير فجاء الموكلون بطعامه الى
المطران فاعلموه بذلك فسمع وزير سابور ذلك فعلم ان سابور قد جزع
وساطته بوزرين وفطن لما قصده سابور فلما جن عليه الليل وجلس
لمسامرة المطران قال له لقد ذكرت الليلة حديثا عجيبا ما ذكرته منذ
كذا وكذا ولوددت اني كنت حدثت البطريك قبل سفري هذا عنه
فقال له المطران اني ارغب اليك ان تحدثني به ايها الحكيم الراهب فقال

الوزير

الوزير نعم وكرامة ثم اندفع رافعا صوته يحدث المطران ليسمع سابور
انه كان عندنا بجليقية فتى وفتاة في نهاية الحسن والظرف فاسم
الفتى ما معناه عين اهله واسم الفتاة ما معناه سيد النساء
وكانا زوجين مؤتلفين متحابين لا يبغي احدهما بالآخر بدلا وان عين
اهله جلس يوما مع فتيان يتحدثون فتذاكروا النساء الى ان وصف
احدهم امراة بالجمال البارع والظرف الرائع اسمها ما معناه سبيكة
الذهب فوقع في قلب عين اهله ميل اليها فسأل الواصف لها عن
فذكر له انها بقرية غير قريبة من اهله ففكر عين اهله في امرها وخامره
حبها وطمحت نفسه اليها طموحا شديدا **وكان يقال** العقل
كالبعل والنفس كالزوجة له والجسم كالبيت لهما فاذا كان سلطان العقل
على النفس مبسوطا اشتغلت النفس بمصالح الجسم كاشتغال المراة التي
قهرها بعلها بمصالح نفسها وبيتها وولدها وبعلها فصلحت الجملة
واذا كان سلطان النفس على العقل مبسوطا كان سعي النفس فاسدا وزعا

بينها

كمثل المرأة التي قهرت بعلها ● قيل فأطلق عين أهله إلى القرية
التي تسكن بها سيدة الذهب وطلب منزلها حتى عرفه ولم يزل يتردد
إليه أحيانا حتى رآها فرأى منظرا رائعا ولم تكن بأحسن من امرأته
وإنه كان يقال من ضرورة النفس أن تخرج إلى النقل في الأحوال إذا
كانت تنقلت بالتركيب إلى عالم الكون ثم تنتقل بالتفريق إلى عالم الفساد
وما افتتح أمره بالنقلة وختم أمره بالنقلة فالأليق به التوسط بالنقلة
ونازعت عين أهله الهمة الاستكثار من رؤية سيدة الذهب فلزم
المعاودة إلى منزلها والتمتع بالنظر البهاجي فطن له بعلها وكان
جلفا غليظ الطبع قاسي القلب شديد البطش يسمى الذيب فرصد
عين أهله فلما رآه وثب عليه وقتل فرسه ومزق ثيابه ولعنه
واعتنف عليه واستعان بأصحاب له فأحملوا عين أهله وأدخلوه
إلى دار الذيب وربطوه إلى سارية في بيت من بيوتها ووكل به عجوزا
عورا العين قطعا اليد والرجل شوها الخلق سيئة الحال فلما جن عليه الليل

اوقدت

أوقدت تلك العجوز نارا بالقرب من عين أهله وجعلت تصطلي فتذكر
عين أهله ما كان فيه من السلامة والرفاهية والعز فزفر زفرة عالية
فأقبلت عليه العجوز وقالت أيها الفتى ما ذنبك الذي أوردك مورد
الذلة والشدة ● فقال عين أهله ما علمت أن لي ذنبا فقالت
العجوز هكذا قال الفرس للخنزير فلم يصدقه ثم بحثه عن أمره
فظهر على ما خفي عنه وعلم صدق الخنزير فقال عين أهله للعجوز إن
رأيتي أن تحدثيني به وكيف كان فإنك تحسنين إلي بذلك ● قالت العجوز
زعموا أن فرسا كان لأحد الشجعان وكان يكرمه ويحبه ويحسن إليه
ويعده لمهماته ولا يصبر عنه ساعة وكان يخرج به في الغدوات إلى
مرج فينزل عنه لجامه وسرجه ويطيل رسنه فيتمرغ ويرعى حتى
يرتفع النهار فيركبه وإنه خرج يوما إلى المرج ونزل عنه فلما استقر
قدمه على الأرض نفر الفرس وجمح ومر بعدوه بسرجه ولجامه فطلبه
الفارس يومه كله فأعجزه وغاب عن عينيه عند غروب الشمس فرجع

الفارس الى اهله وقد يئس من الفرس ولما انقطع الطلب عن الفرس واظلم
عليه الليل جاع فرام ان يرعى فمنعه اللجام ورام ان يتمرغ فمنعه السرج
ورام ان يستلقي على احد جنبيه فمنعه الركابان فبات بشر ليله فلما اصبح
ذهب يسعى فرجا مما هو فيه فاعترضه نهر فدخله ليقطعه الى الضفة
الاخرى فاذا هو بعيد القعر فسبح فيه وكان حزامه ولببه من جلد لم
يبالغ في دبغه فلما خرج من النهر اصابت الشمس اللبب والحزام فيبسا
واشتد عليه لباته ومحزمه واشتد الضر عليه الى ما به من الجوع
فلبث بذلك اياما الى ان ضعف عن المشي فقام فمر به خنزير فهم بقتله
ثم عطفه عليه ما راى به من الضعف فساله عن حاله فاخبره بما
هو فيه من اضرار اللجام واللبب والحزام وساله ان يصطنع عنده
معروفا ويخلصه مما هو فيه فساله الخنزير عن الذنب الذي استوجب به تلك
العقوبة فزعم الفرس ان لا ذنب له فقال له الخنزير كلا بل انك كاذب في زعمك
وجهلك بجرمك فان كنت يا فرس كاذبا فما ينبغي لي ان انفس عنك خناقا

ولا اصطنع

ولا اصطنع عندك معروفا ولا ان اتخذك وليا ولا ان التمس عندك
شكرا او اطلب فيك اجرا **وكان يقال** اذا ارايت نفس الكذاب
قد تشبثت بها عالم الفساد فحلها الى انه اللائق بها لفساد تركيبها
والدليل على فساد تركيب نفس الكذاب انها متربة معرضة عن الحقيقة
في الحوادث ونزاعة الى العدم المحض فتصور العدم وجودا والباطل
حقا وتصور ذلك في نفس المغتر بها الراكن الى قولها وكان يقال
احذر مقارنة ذوي الطباع المردودة لئلا تسرق طباعك من
طباعهم وانت لا تشعر ⊙ وكان يقال الصعب ما يعانيه
الانسان ممارسة صاحب لا يتحصل منه على حقيقة ⊙
وكان يقال لا تطمع في استصلاح الرذل والحصول على مصافاته
فان طباعه اصدق له منك فلن يترك طباعه لك ⊙ ثم قال
الخنزير وان كنت يا فرس جاهلا بجرمك الذي استوجبت به هذه العقوبة ⊙ به
فجهلك بذنبك اعظم منه فمن جهل ذنوبه اصر عليها ولم يرج فلاحه ⊙ حه

وكان يقال أثر الجاهل فإنه يجني على نفسه ولست أحب
إليه منها وكان يقال لا شيء أشبه بالكذب من الجهل وذلك أن الكذاب
يتناسى الصورة والقضية المحسوستين ويتخيل الكذب الذي هو ضدهما
حتى ينطبع ذلك في عقله ويترك الصواب عمدا إلى غيره والجاهل
يرى الأشياء على خلاف ما هي عليه فيرى الحسن قبيحا والقبيح حسنا
وإنما الفرق بين الجاهل والكاذب أن الكاذب يأتي ما يعلم خطأه فيه
والجاهل لا يعلم ذلك فهو على نفسه وعلى غيره أشد جناية من
الكاذبين فقال الفرس للخنزير ينبغي للإنسان أن لا يزهد في اصطناع
المعروف فقال الخنزير إني لست بزاهد في ذلك ولكنه كان يقال
العاقل يتخير لمعروفه كما يتخير البادر لحبوبه التي يبذرها زكي من الأرض
فحدثني يا فرس عن ابتداء أمرك وفيما نزل بك وعن حالك قبل ذلك
لأعلم من أين دهيت فحدثه الفرس بجميع أمره وكيف كان عند فارسه
مكرما وكيف فارقه وما لقي في طريقه إلى حين اجتماعه به

فقال

فقال له الخنزير قد ظهر لي الآن أنك جاهل بجرمك وأن لك ذنوب
ستة ⊙ أولها خذلانك فارسك الذي أحسن إليك وأعدك للمهمات
والثاني كفرانك إحسانه ⊙ والثالث إصرارك به في طلبك ⊙
والرابع تعديك على ما لبس لك وهو اللجام والسرج ⊙ والخامس
إساءتك إلى نفسك بتعاطيك التوحش الذي لست له أهلا ولا لك
عليه مقدرة ⊙ والسادس إصرارك على ذنبك وتماديك على غوايتك ⊙
فقد كنت متمكنا من العود إلى فارسك والاستقالة من فرط جهلك قبل
أن يوهنك اللجام بالجوع واللبب والحزام بالضبط فقال الفرس للخنزير
إذ عرفتني بذنوبي وأيقظتني لما كنت جاهلا عنه محجوبا بحجاب
الجهل فانطلق الآن ودعني فإني مستحق لأضعاف ما أنا فيه
فقال الخنزير أما إذ عزمت على ذلك وفطنت لجهلك ولمت
نفسك ووبختها واخترت لها العقوبة على جهلها واستعملت الحكمة
التي وعيتها فإنك حقيق أن ينفس عنك وإنه قيل إن الملوك

كتب على باب بيتها انه لن ينتفع بحكمتنا الا من عرف نفسه ووقف بها
عند قدرها فمن كان بهذه الصفة فليدخل والا فليرجع حتى يكون بهذه
الصفة ۞ ثم ان الخنزير قطع عذار اللجام فسقط وقطع الحزام فنفض
عن الفرس فلما سمع عين اهله ما خاطبته به العجوز وفهم ما ضربته له
من المثل اقبل على العجوز وقال لها صدقت فيما نطقت وضربت لي
مثلا كشف لي عن جلية امري وافدتني حكما لا اكفا لها وادبتني
فتأدبت ووعظتني فاتعظت ثم حدثها حديثه ورغب اليها ان تمن عليه
بالاصطناع وتطلقه كما فعل الخنزير بالفرس ۞ فقالت العجوز
انك غر لا بصيرة لك باكثر الامور وان الذي سالتني لا يمكنني فعله
الان ولعلي ان اجد لك فرجا ومخرجا مما انت فيه فعليك بالصبر وامسكت
العجوز عن مخاطبته عين اهله فلما انتهى الوزير في حديثه الى هذه
الغاية اقبل على المطران وقال له اني احس في راسي صداعا وفي
اعضاي فتورا ولا يمكنني الليلة اتمام الحديث ولعلي اكون في الليلة

القابلة

القابلة نشيطا الى ذلك قديرا عليه فاحتمل مسرتك باحماله ونهض
الى مضجعه فجعل سابور يتصفح حديثه ويتدبره ويتامل الامثال
التي ضربها ففهم ان الوزير كنى عنه بعين اهله لانه ملك فارس
وكنى عن مملكته واقليم بابل بسيدة النار لان قومه يعبدون
النار وكنى عن بلاد الروم بسيدة الذهب وكنى عن قيصر
بالذيب الذي ذكر انه بعل سيدة الذهب وكنى عن طموح نفس سابور
الى مملكة الروم بطموح نفس عين اهله الى رؤية سيدة الذهب
وكنى عن اخذ قيصر له بقبض الذيب على عين اهله وقصد بما ضربه
له من الامثال الحكمية تاديبه على شرهه وتعزيره بنفسه ومخالفة
نصحايه وكنى عن نفسه وحاله وعجزه وحزنه وذله في خدمة
المطران وطلبه مرضاته وتملقه بالعجوز العورا القطعا الجدعا
الشوها السيئة الحال وعرفه انه لا يمكنه تخليصه في ذلك الوقت
وانه ساع في خلاصه فسكنت نفس سابور لما فهم ذلك وعاودته

ثقته بوزيره واستروح الفرج ولبث بذلك ليلته وغدها الى الليلة
القابلة فلما تغشى المطران واخذ مقعده للمسامرة قال الوزير
سابور ايها الراهب الحكيم أخبرني ما كان من امر عين اهله وكيف
كانت عاقبة شدته وهل خلصته العجوز من وثاق الذئب أم لا
فإن نفسي مطلعة الى ذلك فقال اراك الليلة صالح الحال فقال الوزير
سمعا لامرك وطاعة فاقبل عليه فقال ان عين اهله اقام على حالته
موثقا طول ليلته تلك فلما اصبح دخل الذئب فهدده بالقتل وزاده
قيدا الى وثاقه وخرج عنه فقطع عين اهله نهاره كله بالاماني
فلما جنه الليل قلق واستوحشته الافكار المومضة وبكى وانتحب
فجاءت العجوز واضرمت نارا وجلست تصطلي قريبا منه ثم اقبلت على
عين اهله فقالت له تعز واصبر واذكر مصايب الناس وتأس بهم
ولا تذهل عن النعمة العظمى في حفظ نفسك فقال لها عين اهله
لقد صدق القايل هان على الطليق ما يلقى الاسير فقالت العجوز ايها الفتى

ان حداثة السن تصرف بك عن ادراك كثير من الحقايق افتسمع حديثا
لك فيه سلوة قال نعم فانعمي به علي **قالت العجوز** ذكروا ان تاجرا
مكثرا كان له ابن ليس له ولد غيره وكان شديد المحبة له والشغف
به فالتحفه بعض معارفه بغزال شيخ صغير فعلق قلب الغلام به فكان
لا يفارقه وجعل اهل التاجر على ذلك الغزال حليا نفيسا وان يبتطروا
له شاة ترضعه حتى اذا اشتد الغزال وشدت نجم قرناه فقال الغلام
لاهله ما هذا في رأس الغزال قالوا قرناه فاعجبه سوادهما وبريقهما
فقيل للغلام انهما سيكبران ويطولان حتى تكون صفتهما كيت وكيت
فقال الغلام لابيه احب ان ابي ظبيا له قرنان كبيران فامر ابوه
فصيد له ظبي ثني السن قد استحكم قوة ونموا فاعجب الغلام به وكرمه
اهله وحلوه واكسوه فانس والف الغزال الظبي للمجانسة الطبيعية
فقال الغزال للظبي ما ظننت قبل ان اراك ان لي في الارض شكلا
ثم لما رايتك وقع في نفسي ان لي اشكالا كثيرة سواك فقال له الظبي ان

اشكالك لكثيرة فقال له الغزال اين هي فاخبره الظبي بتوحشها
وانفرادها في فلوات الارض فرارا من الناس وحرشه عن مرابعها وموار دها
وازدحامها وتناسلها فارتاح الغزال لما سمع من الظبي وتمنى ان يراها
ليكون معها فقال له الظبي هذه امنية لا خير لك فيها واشفق
نشات في رفاهية لا تعرف غيرها ولو حصلت فيما تمنيت لندمت
وانه كان على بلتة من لم يبن لها منزلتها وبرع لما حقها اسرعت مفار قته
والتحول عن قربه نصبي ° الملوك ° والعلماء ° والنعمة ° وانه كان
يقال الاماني في الشدة ارتياح ° وفي الرخاء جماح ° فلا ينبغي ان
ياذن العاقل لنفسه من الاماني الا في المقدار الذي يونس الوحشة وينفس
الكربة فان استيلاء الاماني على النفس كامر السفل الذين يعبدون الوثن
احجارا والاشجار ونشاو يسعون في قلب الاعيان وتغيير صور الصواب
فقال الغزال للظبي لا بد لي من اللحاق باخواتي فلما راى الظبي ان الغزال
غير منته وخاف عليه ان يقطع به قبل بلوغه ما تمناه لا

يعر

يعرف التحذر من مكايد الانس لم يجد بدا من اتباعه والكون معه
ليقضي حرمة الفته اياه فرصد حينا يمكنه فيه الفرار فخرجا معا حتى
لحقا بالصحراء فلما عاينها الغزال فرح ومرح وذهب يعدو ولا يتنبه
لشيء فسقط في اخدود ضيق قد قطعه السيل فحصل فيه وانتشب وطمع
ان ياتيه الظبي فيخلصه فلم ياته فبقي هنالك وان ولد التاجر لما اصبح
عدم الغزال والظبي فجزع لفقدهما واشفق ابوه عليه فاستدعى كل
من كان يعاني الصيد بمدينته تلك فعرفهم القصة وكلفهم طلب
الظبي والغزال ووعد من وجدهما وعدا مرغوبا فيه وانبثوا في سهل
الارض وحزنها يطلبون وركب التاجر دابته ووقف اتباعه على باب المدينة
ينتظرون من ياتي من الصيادين وانطلق هو وعبد له حتى اتوا الصحراء
فراوا على بعد رجلا مكبا على شيء بين يديه فاسرع نحوه واذا هو صياد
قد اوثق ظبيا وهو يريد ذبحه فاذا هو ذلك الظبي الذي يطلبه فخلصه
من يد الصياد وامر عبيده ففتشوه فوجدوا معه الحلي الذي كان على الظبي

فساله كيف ظفر بالظبي واين وجده فقال لهم اني نصبت في هذه الليلة
انصيد فنصبت شركا وكنت قريبا منه فلما اصبحت جا هذا الظبي ومعه
غزال فمر فهذ ووبرج في جهة غير جهة الشرك وجا هذا الظبي
يمشي حتى وقع في الشرك فاخذته وقصدت به المدينة حيا
لعلمي انه اذا دوي حيا طولبت بما عليه من الحلي فرايت ان ادخله
وادخل به كما فهمت خبري   فقال له التاجر لقد خبي عليك
شحات الخيبة والحرمان فماذا عليك لو اطلقته وحصلت انت على
ما كان عليه من الزينة لقد صدق القايل لا يدخل الشره مدخلا
الا اعقبه الحرمة   ولا يدخل البخل مدخلا الا اعقبه
الحسرة الا ترى ان من جملة الشره والبخل على اكل اللقمة
التي عافها نفسه كان معرضا للحرمة بسرعة ما اكله والحسرة
عليه عند فراقه ثم ان التاجر بعث بالظبي الى ولده مع احد عبيده
وقال للصياد ارجع معي فارني الجهة التي رايت الغزال سعى نحوها

فرجع به الى تلك الجهة وجعل الصياد يفتش ويتشوف على المواضع
المرتفعة وبينما هو كذلك اذ خرج على رسله فسمع ربيب الغزال الى صوته
فصاح به التاجر فلما سمع الغزال صوته عرفه فصوت فاتبع التاجر
الصوت حتى قام عليه فاذا هو في اخدود ذي شوك في الارض
متلبسا فيه فاخذوه ونادى الصياد فوهب له دراهم واصرفه
ورجع التاجر بالغزال الى ولده فكملت مسرة الغلام وجعل الغزال
يتجنب الظبي اذا راه ولا يالفه وكان اذا حصل معه في موضع نفر منه
اشد النفار فتنغصت مسرة الغلام لذلك وجهدوا اهله بكل حيلة
ان يجمعوا بين الغزال والظبي على حال الفة وسكون فلم يقدروا
على ذلك فبينا الغزال يوما نايم في بيت اذ دخل عليه الظبي
فعاتبه على نفاره منه وطول هجرته فقال له الغزال انس عذرك
اني احوج ما كنت الى عونك واوثق ما كنت بنصرك فقال له الظبي
اني لم اغدر ولم اخز ولكن عدم سوخك في علم التجربة او فعل في

نهر البري واني لم اتاخر عن تخليصك مما حصلت فيه الا مضطراً للتاخر
عنك عاجزاً عن المبادرة اليك وقص عليه قصته وانه دخل
في شرك الصياد فقبل الغزال عذره وعاد الى تالفه قال
فلما سمع عين اهله ما خاطبته به العجوز وفهم ما ارادته به
من ذكر عجزها في تخليصه امسك عن خطابها ❁ قيل فلما انتهى
وزير سابور في حديثه الى هذا الحد سكت فقال له المطران ايها
الحكيم الراهب ما هذا السكوت لعلك تريد تؤخر اخباري بعاقبة
ما كان من عين اهله وما لقي من الذيب وما صنعت معه العجوز
فقال الوزير اني لعازم على ذلك لفتور اجده في اعضائي فقال
المطران لا تفعل فان ذلك يسوءني ويشق علي فاحمل لي على نفسك
الليلة ايها الحكيم فاني راغب في تانيسك معجب باحاديثك
فقال الوزير نعم افعل ذلك طالباً مرضاتك ولو علمت ايها المطران
ما ادخرت لك من الاعاجيب والاخبار وغرايب الاثار لعجبت من ذلك

الشي

اشد العجب ثم اندفع يحدثه فقال ان عين اهله لما سمع حديث العجوز
وفهم ما ارادته به امسك عنها ولبث ليلته تلك باسوا حال
ولما اصبح دخل عليه الذيب فنال منه وتقنعه وتهدده بالقتل
وزاده قيداً ثقيلاً وعرفه ان لا ناصر له عليه ولا مخلص له من يده
وخرج من عنده فجعل يعلل نفسه بقية نهاره ويمنيها بالفرج
فلما اقبل عليه الليل استوحش وبكى وانتحب وانتظر ان تجلس اليه العجوز
وتحادثه فلم تفعل وجعلت العجوز تكثر الدخول والخروج الى البيت
الذي فيه عين اهله ولا تستقر فيه فساء ظنه وايقن بالهلاك وما
شك في ان الذيب يقتله تلك الليلة فاقبل على البكاء حتى ذهب
صدر من الليل ثم قال للعجوز ما لك لا تونسيني في هذه
الليلة بحديثك ومجالستك الي فجلست اليه وقالت له اما كان لك
في ذنبي فطعا جدعا عن راسو ما ما يحملك على التاسي والتسلي وحمد
الله وشكره على سلامة نفسك ومعافاتك من بلاء هو اعظم

من بلائي حتى قلت لك هان علي الطلبو ما لقي الاسير ولو اعتبرت ناظر
حالي بما ظهر لك منها لعلمت ان اسري اشد من اسرك فاستمع الي
احدثك حديثي اعلم ايها الفتى اني كنت زوجة لبعض الفرسان
وكان لي محسنا وبي رفيقا ولي محبا فكنت في ارغد عيش والذه
فلبثت بذلك مدة طويلة وولدت له اولادا كثيرة ذكورا واناثا
فكبروا وانا في رفاهية من العيش فغضب الملك على زوجي لامر كان منه
فقتله وقتل ذكور اولادي وباعني انا وبناتي متفرقات فاشتراني هذا
الفارس الذي عدا عليك واحتملني الى هذه القرية واساء الي وكلفني
من العمل ما لا اطيق واكرهني وعاقبني على غير ذنب لما طبع عليه
من القسوة والفظاظة فسالته مرارا ان يرفق بي واستشفعت
عليه باخوانه ليخفف عني او يبيعني فلم يرده ذلك السؤال والشفاعات
الا قسوة علي واضرارا بي فلبثت بذلك سبع سنين ثم فررت منه
فادركني فجدع انفي ثم عاود قسوته علي واضراره وعاودت مسالته

والاستشفاع

والاستشفاع اليه وهو مقيم على سوء رايه فيّ فمكثت بذلك سبع سنين
اخر وفررت فظفر بي فقفا عيني وعاود عسفي فمكثت سبع سنين اخرى
ثم فررت منه فظفر بي وقطع يدي وقال لي ما بقي لي من اعضائك
الا انتفع بها عينك ويدك فان هربتي بعدها قطعت رجليك
معا ثم ابقيك انتفع بعينك في الحراسة وبيدك في العمل واحتم
على ذلك بتغليظ الايمان ثم عاود عسفي ومضربي وقد عزمت
على ان اخلصك الليلة واقتل نفسي بيدي طلبا للراحة مما انا فيه
ولهذا اردت اكثر الدخول والخروج الباب وانما ذلك لكبري وجزعي
من الموت وقد طابت نفسي على الموت ثم انها نحت فهود عن اهله
وقطعت وثاقه وتناولت سكينا لتقتل نفسها فقال لها عين اهله
لئن تركتك تقتلي نفسك فقد شاركتك في دمك وانزع السكين
من يديها وقال لها قومي اذهبي معي لكي ننجو معا او نعطب معا
فقالت له ان كبر سني وضعف بصري يمنعاني من اتباعك والهرب

فقال لها عن أهله إن الليل شسيع والموضع الذي نأمن فيه قريب
وبي قوة على حملك فقالت العجوز له أما إذ عزمت على هذا فإني لا أحوجك
أن تحملني ما دامت بي قوة ۝ وخرجا معًا فلم ينقض الليل حتى بلغا حيث
أمنا فخبرها عن أهله خبرًا بما صنعت ولحقها أمنًا تسمع لها وتطيع
هذا ما بلغني من ذلك **فقال** المطران إنما أعجب لأحاديثك أيها الحكيم
ولقد وددت أن لا أفارقك أبدًا ۝ وإن سعي هذا ليطول لتطول صحبتي بك وتعظم
حظي من أنسك ولقد استعذبت مفارقة الأهل والوطن بك ونهض كل واحد
منهما إلى مضجعه وبات سابور يتصفح حديث وزيره ويتأمل أمثاله
ففهم أن الغزال مثل لسابور وأن الظبي مثل للوزير وأن خروج الظبي مع الغزال
إلى الصحراء وحصول الغزال في الأخدود مثل لصحبة سابور ووزيره حتى
حصل سابور في حبس قيصر وأن نفار الغزال عن الظبي مثل لسوء ظن سابور
بوزيره لتأخره عن استنقاذه وعرف أن الوزير قد عزم على استنقاذه
والخروج به إلى المدينة لئلا وأن المدينة قريبة منهما وأنه يحمله إن عجز

المشي

المشي فأيقن سابور بقرب الفرج ۝ ولما كانت الليلة القابلة تلطف وزير
سابور حتى دخل الخيمة التي يطبخ فيها الطعام للمطران والموكلين بحبس سابور
في حال الخلوة وألقى في جميع الأطعمة مرقدًا قوي الفعل ولما حضر طعام
المطران انفرد وزير سابور بأكل زاده على ما جرت به عادته فلم يكن إلا
ساعة حتى استحوذ المرقد عليهم واخذلوا صرعى في مراقدهم ومراصدهم
وبادر وزير سابور ففتح باب الصورة عن سابور واستخرجه وأزال الجامعة
من عنقه ويديه وتلطف حتى أخرجه من عسكر قيصر وقصد به جنود
سابور وهي قريبة من ملكه فانتهيا معًا إلى سورها فصرخ بهم الموكلون بحراسة
السور فتقدم الوزير إليهم وأمرهم بخفض أصواتهم وأعلمهم بسلامة ملكهم
وعرفهم بنفسه فبادروا وأدخلوهما المدينة فقويت نفوس أهلها وأمرهم
سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وعهد إليهم أن يأخذوا أهبتهم
فإذا ضربت نواقيس النصارى القرب ألا خرجوا من المدينة وافترقوا
في عسكر الروم وقاموا على أهبتهم وتعبئتهم حتى إذا ضربت النواقيس

الفرق التي حملوا باجمعهم كل فرقة على من يليها فامتثلوا امره وانحطت
كتيبة عظيمة فيها شجعان اساورته وقام معهم فيها الى الاخبية التي فيها
قيصر ولم تكن الروم متاهبين لعلمهم بضعف الفرس عن لقائهم
وانهم قد بنوا ابواب مدينتهم فما شعروا ولا حسوا حتى دهمهم الفرس فاخذ سابور
قيصر اسيرا وغنم جميع عسكره واحتوى على خزائنه وذخائره وقتل جما
من جنوده القتل الشديد ثم عاد سابور الى دار ملكه فقسم الغنائم بين اهل
عسكره وافاض الصلات على جميع من في مدينته فحسنت احوالهم واحسن
الى حفظة ملكه وشكرهم وفوض جميع اموره الى ذلك الوزير الذي خلصه
ثم احضر قيصر فلاطفه واكرمه وقال له اني مبق عليك كما ابقيت علي
وغير مجازيك بتضييق محبسي ولكني اخذك باصلاح جميع ما افسدت من جميع
مملكتي فتبني ما هدمته وتغرس مكان كل نخلة قطعتها زيتونة وتسرح
كل من في مملكتك من اسارى الروم فضمن له قيصر ذلك كله ووفى له به
ولما انتهى في الاصلاح الى ما انثلم في سور مدينة سابور قال القيصر

الفرس صح

انما تبنيه من تراب بلادك فامر قيصر رعيته من الروم بحمل التراب من
بلادهم الى جندي سابور فرقع به ما انثلم من سورها ولما تم لسابور ما
اراد من ذلك كله احسن لقيصر واطلقه الى دار ملكه بعد ان قال له خذ
اهبتك واستعد لعدتك فاني غاز ارضك عن ما قريب ⊙ قال
محمد عفا الله عنه قد بلغت بهذه السلوانة الغاية التي نحوتها بهذا
الكتاب والحمد لله على ما يسر من ذلك ⊙

السلوانة الثالثة وهي سلوانة الصبر وهو ثمرة التاسي

قال الله ربنا تقدس اسمه مخاطبا صفيه المكين لديه ⊙ ونبيه العزيز
عليه ⊙ واصبر وما صبرك الا بالله الاية ⊙ وهذا لما تمالا المبطلون عليه
وقصدوا له المكر والمكروه البيه ⊙ كما اخبر ربنا تعالى بقوله ⊙ واذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ⊙ وكان رؤساء
قريش قد اجتمعوا في دار الندوة ليتشاوروا في امر النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم

وأتاهم ابليس لعنه الله في صورة شيخ اعرابي فارادوا اخراجه عنهم
فقال لهم اني من اهل نجد ولا عيب عليكم مني وقد بلغني ما اجتمعتم اليه
ولعلكم لا تعدمون في محضري خيرا فاخذوا في مشاورتهم فقال
عتبة ارى ان تخرجوه من بين اظهركم فان ظفر كان ظفره حظا لكم
وان قتل كنتم قد كفيتم امر دمه فقال ابليس ما هذا برأي اما سمعتم
حلاوة منطقه واخذه بالقلوب فلا تأمنوا ان يقع في حي من احياء
العرب فيستنقذهم وهو آخرهم ويسير اليكم حتى يخرجها عنكم فقال آخر منهم
ارى ان توثقوه وتحبسوه حتى يأتيه اجله وهو في حبسه فقال ابليس لعنه
الله ليس هذا برأي اما علمتم ان له اهل بيت واتباعا لا يرضون منكم
بهذا فيقع الحرب بينكم ويهون امركم ثم قد يكون الدائرة عليكم فقال
ابو جهل لعنه الله ارى ان تأخذ من كل قبيلة فتى جلدا ويعطى كل
واحد منهم سيفه ويأتونه في مضجعه فيضربونه ضربة رجل واحد
فلا يقدر اهله ان يطلبوا دمه اذا تفرق في قبائل قريش فقال ابليس

لعنه الله لقد اصاب الرأي فتفرقوا على رأي ابي جهل لعنه الله
واوحى الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعرفهم مكرهم
ويأمره بالخروج الى طيبة وما الذين يخبرهم من القبائل بالفتك
برسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله من اول الليل فأمر النبي صلى
الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه ان يلبس برده الاخضر
وينام على فراشه واعلمه انه لا يصل اليه منهم مكروه فالتحف
علي رضي الله عنه ببرد النبي صلى الله عليه وسلم ونام على فراشه
وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيته متوجها نحو الغار والقوم
على الباب فقرأ اوائل سورة يس والقرآن الحكيم واخذ كفا من التراب فجعل
يذره على رؤوس القوم وهم لا يبصرونه وانصرف صلى الله عليه وسلم
وجعل المشركون ينظرون الى علي رضي الله عنه في مضجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم نائما يقولون هذا محمد نائم ولا يطيقون الدخول
حتى اصبح وقام علي رضي الله عنه فنظروا اليه وأتوه وقالوا له

ابن محمد فقال لا ادري أمر غوه بالخروج فخرج فحبسوه في المسجد ساعة ثم

خبر نبوي في الصبر

مما رويناه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم خليل المومن

والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قايده والرفق والده والبر

اخوه والصبر امير جنوده فناهيك بخصلة تامر على هذه الخصال

الشريفة وليس المراد بتفضيل الصبر على العقل والحلم وما ذكر من الخصال

معهما ولكن المراد ان بالصبر يكون الثبات على هذه الخصال لمن اتصف بها

لان معنى الثبات والحبس والامساك فمن اتصف بشي من هذه الخصال

ولم يتصف بالصبر عليها والملازمة لها كان عند مزايلته كمن لم يتصف به

فالصبر لهذه الخصال الشريفة ضابط ضبط الامير جنوده عن مزايلة

مراكزها والاخلال انفسها بنية من دفاع وانتفاع

منثور ومنظوم من الحكم في الصبر

روي ان عليا رضي الله عنه قال الصبر مطية لا تكبو وقيل ان مما كتب

في الصحيفة الصفراء المعلقة في اعظم هياكل الفرس كان الحديد

يعشق المغناطيس وكذلك الظفر يعشق الصبر فاصبر تظفر

اعلم رحمك الله ان ظل الصبر ظليل ومظلة دليل وان الصبر

درج يفضي من عرج الى الفرج وان اقل فوايد الصبر على البلية ان

الصابر عليها يغض لقلة عدوه المشتفي الشامت والصبر

صبران صبر العامة وهو عمل الاشباح وصبر الخاصة وهو عمل الارواح

وقال الحكيم حبيب بن اوس الطاي في هذا المعنى

لباس رداء الصبر مدرع به في الحادثات الجلل ادراع اللام

والصبر بالارواح يعلم فضله صبر الملوك وليس بالاجسام

قوله ادراع اللام اي الدروع والدرع لامة وجمعها لام وقال

حبيب ايضا فاحسن واذا ابتليت امري لغوصه يوما فقد ابهرت صوته

وقال نهشل بن جرير

ويوم كان المصطلين بحره وان لم تكن نارا قيام على الجمر

قوله سوح اي نحبوهما سوا ۝ **وقلته في ذلك** ۝

على قدر فضل المرء ياتي خطوبه ويعرف عند الصبر فيما يصيبه

ومن قل فيما يتقيه اصطباره فقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال بعضهم ۝ ۝

الصبر اولى بوقار الفتى من قلق يهتك ستر الوقار ۝

من لزم الصبر على حالة كان على ايامه بالخيار ۝

وقال عمرو ذو الكلب

ومنفعد كربه قد كنت منها :. مكان الاصبعين من القبال

صبرت لها وكنت اخا حفاظ :. اذا ما حام اللئام عن النزال

فهذا والمنية من وراي :. ستطرقني بها احدى الليالي

قال محمد عفا الله عنه هذا انموذج من القول على الصبر على الجملة

وهو يتنوع انواعا ۝ والنوع اللايق بكتابي هذا منها هو صبر الملوك

وهو عبارة عن ثلاث قوى القوة الاولى قوة الحلم وثمرتها العفو ۝

والقوة

والقوة الثانية قوة الكلاءة والحفظ وثمرتها عمارة المملكة ۝ والقوة

الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها في الملك الشاب وانما ثمرتها في جملة

المملكة من المقاتلة بالاقدام في المخافة ولا يراد من الملك الاقدام

في المخافة فان ذلك من الملوك تهور وطيش وتغرير ۝ وانما شجاعة الملك

ثباته حتى يكون قطبا للمحاربين ومعقلا للمنهزمين وهذا ما دام يحضره

من يثق به ان يذب عنه ويدافع دونه ويحميه ۝ ولقد ذكرت

الفرس ان فيلا اغتلم اي هاج فدخل قصر انوشروان كسرى والفيل

قد اغتلم انكر سواسه ولم يثبت له شيء الا اتى عليه واهلكه قالوا

وان ذلك الفيل قصد مجلسا كان فيه كسرى ومعه جماعة من اصحابه

فلما راى الذين مع كسرى ان الفيل قصدهم فروا من المجلس وثبت كسرى

على سريره وثبت [illegible] من اساورته كان مكينا عنده يثق به [illegible]

فقام ذلك الاسوار من بين يدي سرير كسرى وفي يده طبرزين وقصد الفيل

فثبت له حتى غشيه فضربه بالطبرزين ضربة على [illegible] فكر الفيل

راجعا وقد نالت منه القرحة منالا شديدا وكسرى في هذا كله لم يتخلخل
عن مجلسه ولا تغيرت هيئته ولا فارقته أهبته فهذه غاية النجابة
المطلوبة من الملوك فإذا لم يكن بحضرة الملك من يثق بدفعه حسن له
حينئذ أن يذب عن نفسه أما الإقدام على العدو إن غلب على ظنه
الامتناع منهم بالإقدام عليهم أو انهزامه إن أتاه ما لا قبل له به
وأشفق بعطب عينه بهلكه كما يحكى أن موسى الهادي
كان يوما في بستان له ومعه أهل بيته وبطانته وخاصته وهو
راكب على حمار وليس معه سلاح إذ دخل عليه حاجبه فأخبره أن رجلا
من الخوارج جيء به أسيرا وكان الهادي حريصا على الظفر به فأمر بإدخاله
فأدخل بين يدي رجلين ممسكين بيديه فلما رأى الخارجي الهادي جذب يديه
من الرجلين اللذين كانا يمسكانه واخترط سيف أحدهما ووثب على الهادي
ولما رأى ذلك من كان حول الهادي من أهله وخاصته فروا جميعا
وبقي الهادي وحده فثبت على حماره بمكانه حتى إذا قرب الخارجي منه وكاد
أن تعلوه

أن تعلوه بالسيف قال الهادي اضرب عنقه يا غلام فالتفت الخارجي
حين سمع ذلك فوثب الهادي عن سرجه فإذا هو على الخارجي وسقط
الخارجي من تحته فقبض الهادي على يده وانتزع منه السيف
فذبحه به وعاد إلى ظهر حماره من فوره وتراجع إليه خاصته وأهله
يتسللون وقد ملئوا منه رعبا وحياء فما خاطبهم في ذلك بحرف
ولم يكن بعد ذلك يفارقه سيفه ولا يركب إلا الخيل وقد جلا عليك
هذا الخبر ما أيد الله به موسى الهادي من ثبات الجأش وإصابة الرأي
وشدة الحذر وشجاعة القلب وقوة البدن رحمة الله عليه وعلى
أهل بيته الطاهرين **روضة رائقة ورياضة فائقة**
قيل وصف لكسرى أنوشروان أرض من التخوم الهندية تتاخم إقليم بابل فذكرت له
بحسن المنظر وطيب الهوى والماء وكثرة الثمار وحصانة المعاقل ووصف له
أهل تلك البلد بعظم الجسوم ونكادة الهموم وشجاعة القلوب وقوة
الأبدان والصبر على العمارة وملازمة الطاعة ولين القيادة فتشوقت نفس

كسرى الى تلك الارض والتنكر باهلها ۞ وكان يقال الشره اعرق
الخصال في اللوم فالحرص ابوه الذي يولده ۞ والبغي ابنه الذي يلده ۞
والطمع شقيقه ۞ والذل رفيقه ۞ وكان يقال من شره وقع فيما يكره
وكان يقال الشره شره ينتجها طبع ويهيجها طمع ۞ قيل فلما
طمحت نفس انوشروان الى تملك تلك الارض سال عن ملكها فاخبر انه
عظيم من اكابر الهند وانه شاب منقاد لشهواته مقبل على لذاته
الا انه سالك صراطا من العدل لا يجور وما لكهم لا من البذل لا
نفور الى الرافه برعيته فلذا شربت قلوبهم وده وصرفت امالهم الى عنه
فندب له كسرى رجلا من ثقات اصحابه قد اقتبس ادبا من اداب
الملوك وتفقه في سياستهم وكان ذا دهاء ومكر وحزامه وامره
بتامل مسالك تلك الارض والبحث عن ثغورها ومعاقلها والاطلاع
على عوراتها والبحث عن اخلاق ملكها واهلها وكتب معه كتابا الى
ذلك الملك يدعوه فيه الى الدخول في طاعته ويحذره التعرض لعقوبته

مخالفته فانطلق ذلك الرسول حتى قدم على الاركن فاحسن نزله وبالغ
في تكرمته ودبره وعمى عليه الاخبار وبالغ في نهيه عن التصرف وقبض
الناس عن لقائه واحتجب عنه ولم يستدع الكتاب منه وندب
لاختباره وعلم ما قصد له رجلا من ثقات اصحابه ودهاتهم فامره
بالتجسس على اسبابه والتلطف في مداخلته ومخاتلته فانطلق ذلك
الجاسوس واكترى حانوتا تجاه دار الرسول وملاه تجارا وجلس فيه لبيع
التجار وكان للرسول غلام يخف به في حوائجه ويتصرف في اموره فجعل
ذلك الجاسوس اذا راى ذلك الغلام هش له واكرمه وساله عما له من
حاجة الى ان انس به الغلام فكان يجلس اليه ويستعين به في امره فلبث
بذلك مدة لا يساله عن شيء من امر سيده فلما اكثر انس الغلام به
قال له من تكون ومن لك في هذه الدار التي تدخلها فقال له الغلام صحبتني
منذ كذا وكذا ولا تعرفني فقال الجاسوس ربما علمي فقال الغلام انا غلام
رسول كسرى وسيدي في هذه الدار فقال الجاسوس ومن كسرى ومن رسوله

فقال الغلام كسرى ملك بابل أرسل سيدي إلى ملك أرضكم فقال
الجاسوس الآن عرفته حين ذكرت لي بابل لأني كنت في صباي أجيرا لرجل
من أهل بابل ثم أمسك عن الغلام أياما لا يسأله عن شيء وكان يقال
النقير يتغير وقيل السقيب يريب الأريب وقيل من تسرع إلى الأمانة
فلا لوم على من اتهمه بالإضاعة ومن أسرع في المشاركة في السر
فلا لوم على من اتهمه بالإذاعة ومن نصح قبل أن يستنصح فلا لوم على
من اتهمه بالخداع ومن عني بكشف ما ستر عنه فلا لوم على من اتهمه
بخبث الطباع قيل ثم إن الجاسوس قال يوما للغلام إذا خرج مولاك
فأرنيه فقال الغلام إن مولاي لا يتصرف فقال الجاسوس أمريض هو قال
الغلام لا ولكن ملككم حظر عليه الخروج ومنع الناس الدخول إليه
فبكى الجاسوس فقال الغلام ما يبكيك فقال الجاسوس أبكاني الرحمة لمولاك
بما هو فيه لأني ابتليت بمثل ما ابتلي به وذلك أني حبست مرة في دكان
علي دمعت اني من الدخول إلي ولولا أن الله من علي برجل كان محبوسا

معي وكان يسليني بحديثه وأنسه لهلكت غما فهل تحدث مولاك أو تسليه
فقال الغلام إني لا أعرف هذا ولا أعرف خبرا أحدثه به فقال له الجاسوس
أفأدلك على ذلك فقال الغلام بلى ما أحسن إلي بذلك فقال الجاسوس إذا
خرجت من عند مولاك فطف في المدينة وتأمل ما ترى فيها وإذا رأيت
جماعة يتحدثون فاجلس إليهم واستمع ما يخوضون فيه فإذا رجعت إلى
سيدك وخلوت معه فقل له رأيت كذا وكذا وسمعت من يقول كذا وكذا
فإن في هذا تسلية له وإيناسا من وحشته ويوشك إذا فعلت هذا معه
أن تحظى بذلك عنده ففعل الغلام ما أمره به الجاسوس فقال له سيده من
دلك على هذا فقال الغلام أنا فطنت له فقال له مولاه كلا ليس هذا
من نوى عقلك فأخبرني من دلك عليه فقال الغلام دلني عليه
جار لنا يبيع الفخار وما رأيت أجمل منه ولا أنبل فقال له مولاه من
أين علمت جهله ونبله فقال الغلام إنه صحبني أكثر من شهر وهو لا يعرف
من أنا ولا من سيدي وقد ذكرت له الملك كسرى فإذا هو لا يعرفه فلما سمع

الرسول ذلك استراب به ونفر منه انه متجسس عليه لما رأى انه افرط في
تجاهله **وكان يقال** من افرط فهو كمن فرط ومن احتمل في غلوه اشتغل
عن علوه وكان يقال ما دل على الاحوال كالاقوال ولا هتك قناع العقول
كسماع المقول وكان يقال من تعرفك غايبا اذناه لم تعرفك شاهدا عيناه
قيل فلما سمع الرسول مقالة عبده امره ان يأتيه به ففعل ولما رآه الرسول
حقق ما كان ظنه به من كونه جاسوسا عليه فاكرمه وقربه وتظاهر
له بجهل وصباوة لا مزيد عليهما وسأله ان يواصل زيارته فلبث الجاسوس
يتفقد حال الرسول في ليله ونهاره مدة متراخية ولما ظن ذلك الجاسوس
انه قد حصل ما اراد تحصيله من امر رسول كسرى ذهب الى الملك فاخبره
انه لا ذكاء له ولا غناء عنده غير انه ذو تخيل وفروسية فوثق الملك بقوله
وتخيل الرسول بالصورة التي مثله بها الجاسوس وكان يقال لا تكن ثقتك
لاول مخبر ولا تفتك لاول مجلس وكان يقال اذا كان الخبر يدخله الصدق
والكذب فالقضاء له باحدهما قبل الامتحان جور وكان يقال انما نقضي بصدق

الخبر

الخبر عصمة المخبر له صدقه وشرح ذلك لان المخبر الصادق اذا لم يكن معصوما
فهو عرضة للمدلسين وفرصة للمتلبسين وكون المخبر ثقة صدوقا انما يفيد
سلامته من التحريف فيما نقله ولا يفيد عصمة ادراكه فيما ادركه فقد
ينظر الصادق العقل الى الشمس فيخبر انها غير سائرة وينظر الى القمر ودونه
مقطعات السحاب فيخبر انه ادرك سرعة سيره وينظر من سفينة جارية الى
البر فيظن ان البر يجري وينظر الى افعال المشعوذ فيخبر عن الاشياء بخلاف ما
هي عليه ويسمع كلام الببغا المحجوبة عن بصره فيخبر انه انسان فلم يدخل
الخلل من جهة تحريفه ولكن من جهة ادراكه قيل فلما وثق الازكن بما
جاسوسه احضر رسول كسرى فاكرمه وخاطبه بكل قول حسن واخذ
منه الكتاب وخلع عليه واجزل صلته ورده الى منزله مكرما مبرورا
واباح له التصرف واباح الى الناس الدخول اليه وتابع اتحافه وتكرمته ولبث
عاما ثم استحضره وسلم اليه جواب كتابه واعطاه هدية لكسرى تعال ان منها
سنقا طوله خمسة اشبار ولونه كلون النحاس الاحمر يعمل في الحديد مثل ما

يعمله

تشغل غيره من السيوف في الرصاص وصحفة من الياقوت الأزرق تسع منًّا
من الطعام ۞ وكأسا من الزمرد البحري تسع رطلا من الشراب وألف درة
فريدة ۞ ومنديل من الكساء فيه ياقوتة حمراء كبيضة الحمام إذا علق في بيت
فيه مصباح ليلا غلب شعاع الياقوتة على الألوان المقابلة للحمرة فلا تشك
في حمرتها ۞ وطيبا كثيرا ودروعا ودرقا وغير ذلك ۞ وحضر الرسول
بحباء وذخائر نفيسة وصرفه إلى مرسله ۞ فلما قدم الرسول على كسرى
سأله عما ندبه إليه ليعرفه فأخبره بطيب تلك الأرض وفضائل خصائصها
وشرف مزاياها وحصانة ثغورها ولكنه لم يجد لها عورة تؤتى منها إلا غرارة
سكانها فإن عقولهم سليمة لقبول الخدع محجوبة عن النظر في العواقب
وأن هذا موجب حسن طاعتهم لمن ألقوا طاعته فلو ندب إليهم رجال يحسنون
نصب الدعوات إلى الدول لاستمالوهم وصرفوا طاعتهم عن ملكهم
فإذا انصرفت طاعتهم عن ملكهم لم تقم لملكهم بعد قائمة لأنهم أعضاده
الذين يصول بهم وهم في الرخاء ثمار مجتناة وفي الشدة سيوف منتضاة ۞

فنظر

فنظر كسرى فيما كتب له به الأزكن فوجده قد خاطبه بالملاطفة واعترف
بفضله وتملقه ورغب إليه في الموادعة والمواخاة فاستشار كسرى وزراءه
في أمره وأعلمهم أن نفسه لا تطيب بمسالمته فاختلفوا عليه فأجمع
على أن يرد إليه هديته ففعل ثم إنه ندب لاستنفاد عيبته رجالا
يحسنون نصب الدعوات وانقلاب الدول وأمدهم بالأموال وأزاح عللهم
وبين لهم مثالا يحتذون عليه فنفذوا لما أمرهم به حتى انتهوا إلى مملكة ذلك
الأزكن فتفرقوا فيها وأعمل كل واحد منهم قوته فيما انتدب له فلما أتى
عليهم عام أحكموا ما أرادوا من ذلك في دار مملكة الأزكن وفي غيرها
من مدنه وحصونه ورساتيقه وكتبوا بذلك إلى كسرى فحرك إليهم
المرزبان المتولي ربع المملكة المقابلة لتلك الجهة الهندية وذلك أن إقليم
بابل كان مصروفا إلى أربعة مرازبة لكل مرزبان منهم خمسون ألف مقاتل فلما
شرع ذلك المرزبان في الحشد والاعتداد كتب عيون الأزكن بتلك الجهة إليه
يخبرونه بأن المرزبان المجاور لجهة بلاده قد أخذ في حشد الأجناد وتأ

هب ۞

لاستعداد معلم الاركن بقصد المرزبان اليه ونجم النفاق ببلده وتحدث
الناس بما كانوا يخفونه واكثروا الاراجيف فانتبه الاركن من غفلته
وبحث عن الامر فوقف على حقيقته وكان امر مملكته يدور على خمسة
رجال اربعة منهم وزراؤه والخامس هو صاحب بيوت النيران ورئيس
الزمازمة والذين يأخذون عنه دينهم فجمعهم الاركن وعرفهم ما بلغه من فساد
قلوب رعيته وحشد المرزبان اليه واظهر لهم الحاجة الى كفايتهم فجلسوا
يتناظرون في ابتغاء صواب الراي فقال احد الوزراء الراي عندي ان يستصلح
الملك رعيته فيملا ايديها رغبات وقلوبها امالا حتى يستقيم معوجها ويانس
نافرها فان عدونا ان علم ذلك جبن عن الاقدام علينا وان اقدم لقيناه بجملة مجتمعة
وايد متناصرة فقال رئيس الزمازمة انما يصلح هذا من الرعية لو كان فسادها
بوجه هضم جور او عنف سيرة فيزال عنها فسادها فتصلح ولست رعية الملك
بهذه الصفة وانما اورد عليها الفساد جهلها بمواقع الصواب في بطرها بادرار
النعم وقد قيل اربعة اذا افسدهم البطر لم يزدهم التكرمة الا فسادا

الولد

الولد والزوجة والخادم والرعية وضربوا لذلك مثلا للقوى الاربعة المردولة
اذا هاجت لتعدي حدود المصلحة وهي الغضب اذا تعدى حد الشجاعة
وحد الانفة من الرذائل والشهوة اذا تعدت حد راحة العقل من كد اكتسا
الفضائل والحرص اذا تعدى حد الكفاية والكسل اذا تعدى حد راحة الجسم من
كد اكتساب المصالح فان هذه القوى الاربعة اذا تعدت هذه الحدود لم
تزدها المداراة والرفق الا هيجانا وطغيانا وانما تعالج بحسم موادها فقال
الملك صدق الحكيم ثم قال وزير اخر من الاربعة الراي عندي ان نضرب من
صلح من الرعية بمن فسد منها حتى يستقيم لنا ونستوثق لنا ثم بلغني عن
عدونا الاخاف دغلة وما اخذ رعيته لانا مضطرون الى الحرب لكون
عدونا الا بوضعه لا اخذ ما بايدينا اجمله قال رئيس الزمازمة هذا
ابلغ لعدونا من جليته واذى لطاعته من دعاته مع انه اذا علم تحزبنا
بما بيننا ناصبنا دهمتنا هيبتنا من قلبه وبلغ بنا امله وقد قالت الحكما
اربعة من استعملها بالعنف في الردع في اربعة احوال هلك بها الملك

في حال غضبه ● والسيل في حال صدمته ● والفيل في حال غلمته والعامة
في حال هيجها ومرتها ● وقالوا ان اشبه شي بردع العامة عند تمردها
ونحوها معاناة الجدري في حال انبعاثه الى سطح الجسد فلا تطلبه الراد عنه ●
فقال الملك صدق الحكيم ● فقال وزير ثالث الراي عندي ان نطلب اولا
نعين من نصدق طاعته من الرعية تميزه من سواه ثم نسري براينا
فيه بما يقتضيه حاله من كثرة او قلة او نباهة او ضعة او ضعف
او قوة فنقابله بما توجب حاله من التدبير ● فقال رئيس الزمامه
البحث الان عن هذا امر خطير لانه يوحش الرئيس فحركه على اللجاج وتعدونا
واعتماده بالنصايح علينا ودلالته على عوراتنا واذا التحق بعدونا فايل
معه على بصيرة لبست لعدونا وبدا احمد في الرعية الى وطنه واهله
وماله وعدونا لا يبقى لمنا على مثل ذلك وربما لم ينفصل عنا المرء بل
يقاومنا في موضعنا ويكاشفنا ويتكثر علينا بشكله من الرعية
فينصره وان لم يكن على مثل رايه بعلة مشاكلته له كما ان الكلبين لا عهد بهما

تعاديهما

تعاديهما وتهارشهما من التعاون على الذيب اذا انبراه ولا يلتفتان
الى تحقيق الذيب في الخلق الكلبي ولكنهما يتآمران ويصطلحان في التعاون
عليه نظرا الى خصيصي توحشه وانفيته وجراته فكذلك العامي
لا ينظر الى الملك من حيث تحققه في الخلق الانساني بل ينظر اليه من
خصيصي تفرده وانفته وعلو همته فيتاجر لذلك ويالف العامي الذي
يشاكله في الاخلاق بعلة المشاكلة ● وقد قالت الحكما ثلاثة اركا شعهم
بالامتحان في ثلثة احوال اخبرتهم مودتك في حال استقلالك وصديقك ●
في حال اختلالك وامراتك في حال اكتهالك والرعية كالزوجة وادبار
الدولة كالاكتهال وقالوا مثل ذلك مثل امتحان قوى معدة الناقهين
من الامراض بالاطعمة الغليظة ● فقال الملك صدق الحكيم ●
فقال وزيره الرابع وكان اوسعهم علما وافضلهم رايا ● اما انا فاحدث
الملك حديثا اخبرني به مودبي وكان اخر ما افادنيه وقال لي اخزن
هذا الحديث في حبة قلبك وانتمني ان تعيش الى اليوم الذي تحتاج فيه اليه

واني لاحسبه بهذا اليوم فقال الملك قل نسمع لحديثك فقال رهس الزنادمة
ما اولاه بالاصابه فقالت الوزراه الثلثه انه لكذلك ⊙ فقال الوزير
الرابع انما نحن كالاصابع للراحة في افتقار بعضها الى بعض وقوة بعضها
ببعض وتزين بعضها ببعض ثم انا نستمد من نور عقل الملك السعيد
بنظرنا اليه كما نستمد الدراري من نور الشمس وكلنا الى الملك محتاج وبه
مقتد فقال الملك بل ايها الوزير الصالح بالقبول والكرامة لك ولمن بث
عنه فانتم في مناصحتنا والغناء عنا والاداء الينا كالحواس الخمس للقلب
تسعد واله اجمعون ⊙ ثم قال ذلك الوزير الرابع زعم مودبي ان رجلا
من التجار كان موسرا وكان ياوي في داره الى بيت مبطن السقف وفيما
بين ذلك السقف وبطانته فيران كثيرة فكن فيما سر وادعة من الامنة
فيستترن الظلمة بحر النهار كله على حال طمانينة فاذا جاء الليل نزلن
من السقف فتفرقن في مخازن التاجر ومساكن عياله فاكلن واحتملن
فكان اداهن على التاجر وانه دخل يوما مسكنه ذلك واستلقى فيه

مفكر

مفكرا في بعض شانه وجعلت الفيران يمرحن على بطانة السقف
والتراب ينسف من خلل الالواح على التاجر فضجر التاجر من ذلك ووثب
مبادرا امر بتحويل ما في البيت من الاثاث وامر عبيده بقلع بطانة السقف
وانتشر الفيران في البيت فقتلن شر قتلة ولم ينج منهن الا جرذ وفارة
وكانا غائبين عن السقف فلما رجعا وابصرا فساد وطنهما ومصارع
الفيران في الدار اغمهما ذلك ⊙ واقبل الجرذ على الفارة وقال لها لقد صدق
الحكيم في مقالته ⊙ من صحب الدنيا واثقا بها كان كالنائم في الظل
الذي يكون قبل طلوع الشمس الى نصف دائرة فلكها الاعلى فيتقلص الظل
عنه فيوقظه حر الشمس ولا يجد للظل عينا ولا اثرا فقالت الفارة
صدقت فماذا ترى فقال الجرذ اري ان لا اسكن بموضع ينال منه هذا
المنال وافر من الانس جهدي فان هيجهم شديد وحيلهم امضى قوة من غيرهم
من العوالم فقالت الفارة انا معك فانطلقا معا حتى اتيا ارضا بوارا
فيحاء ذات اخلاط من الوحش يكتنفه واديا معشبا فيه غدير ما جار بان

وسلاحف وضفادع فاعجبهما ذلك وسارا معا الوادي يلتمسان موضعا
يحفران فيه جحرا لهما فانتهيا الى ربوة عالية في وسط ذلك الوادي قد انجاب
عنها السيل يمينا وشمالا فاحتفرا في اصل ذلك الربوة جحرا رضياه واو طناه
وانهما غدوا يوما من الايام تلك الرابية فرايا في اعلاها يربوعا قد علت
منه على باب جحر له فرحب بهما وحادثهما وسالهما عن امرهما فاخبراه الى ان
ذكرا انهما اوطنا جحرا في اصل تلك الربوة فقال لهما اليربوع لولا ان
النصح كثيرا ما يدعوا الى التهمة لنصحت لكما فقالا له ما احوجنا الى ذلك
فقال لهم انه كان يقال اربع لا تقدم عليها حتى تسل عنها الخبير بها
السوق لا تقدم عليها حتى تسل عن النافق والكاسد فيها ۝ والمراة لا تقدم
على خطبتها حتى تسل عن منصبها وخلقها ۝ والطريق لا تسلكها حتى
تسل عن امنها وخوفها ۝ والبلد لا توطنها حتى تسل عن مرافقها وسيرة
سلطانها واخلاق اهلها وقوة من يكيد اهلها ويعاديهم **وكان**
يقال انظر الى النصح فان اياك بما يضر غيرك ولا ينفعك واعلم انه شرير

فاجتنبه

فان اياك بما ينفعك ولا يضر غيرك فاعلم انه طامع ۝ وان اياك بما ينفعك
ولا يضر غيرك فاعلم انه ناصح فعول عليه واصغ له **وكان يقال**
ان لم تعرف ناصحك على نفسك كان ناصحك كمن يروم تقويم ظل عود قد نصب
معوجا قبل ان يقيم العود في منصبه ۝ وكان يقال اذا اردت ان تعلم ما يغلب
على الانسان من قوى الخير والشر فاستشره فذلك رايه عليه اصح دلالة
وكان يقال شر ما في عالم الاخلاق التعاطي لان التعاطي يبدا المتخلق به
شرا ويعرضه في مواسم الخزي وهذا كالضعيف يتعاطى القوة وكالجاهل
يتعاطى العلم وكالفقير يتعاطى الغناء وكان يقال اذا احتجت الى المشاورة
في امر فشاور ذوي الحنكة والتجربة في طبقتك وذوي الصناعة ولا تعدل
عنهم الى غيرهم ممن ليس من طبقتك فيخرجك عن حدك لانه خارج عن
عالم خصائصك واعلما انه قد جمعني واياكما مناسبة صناعية وهي
حفر الحجرة التي في علمها ارسخ منكما فانتقلا عن جحركما فانه بئس الجحر ومن
شر الاوطان وانا ابن بجدة هذه الارض والخبير بها وقد قيل قبل ارضها جارها

فتحولا عن ذلك الجحر واطلبا مأوى سواه فخرجا من عند اليربوع يهزان به ويسخرا
منه ويتسائلانه الى الجزر والخرف فرجعا الى جحرهما فلبثا به مدة طويلة وولدا
فيه اولادا ثم ان الجرذ خرج يوما من الايام فاوغل في تلك الارض لبعض شانه
ثم عاد قاصدا الى الربوة واذا السيل جرى في ذلك الوادي فاخذ بالربوة
دار بنع حتى صارت الربوة في مثل البحر العجاج فوقف على ضفة الوادي
ينظر متحسرا لفساد وطنه وهلاك الفه وولده وذهاب ما اعد من
طعمه فراى اليربوع قائما على الربوة امنا فناداه اليربوع ايها الجرذ كيف
وجدت ثمرة اضاعة الحزم ومعصية الخبير الناصح قال الجرذ وجدتها
مرة فقال اليربوع للجرذ هون عليك وخفض من حزنك فان النعمة في بقاء نفسك
زي على المصيبة باهلك وولدك فانس النعمة بالشكر تالفك فتستمتع بها وانه
كان يقال الطهر للنية الصديق والكريم والنعمة وكان يقال الحر لا يذهله
اساءة من كان احسن اليه عن شكر احسانه السالف عنده وكان يقال اذا
احسن اليك محسن ثم شكر لك فاصابك بمساءة فلا تنقبض عنه ودم على شكره

له وتركه به فان ذلك اوجه شفيع لك عنده فقال الجرذ لليربوع ما كان اشقا
ايها الحكيم بمعصيتك والبعد عنك وحق قيل للعاقل ان يصحب العلماء المهذبين
بالحكمة والادب ولو كنت ذا خبرة لعلمت انك ايها الحكيم لم تكلف نفسك صعود
هذه الربوة الكؤود وهبوطها على ضعف بدنك وكبر سنك الا لامر اقتضته
الحكمة واوجبه الراي المصيب ثم ان الجرذ امهل حتى ذهب السيل فصعد الى
الربوة فاتخذ جحرا الى جانب جحر اليربوع واوطنه امنا قرير العين فهذا ما
اخبرني به مؤدبي فقال الملك صدقت ايها الوزير الصالح فلا زلت سددت
ناصحا واصبت مبشرا وتلطفت مبلغا ودعوت سميعا فالتمس لنا ربوة نحمي
الاستقرار بها ونلزم انفسنا الصبر على صعودها ونقصر فيها على مالوف مرادها
وانبساطها في هذا العالم الخبيث الينا ولعلنا نجتني السلامة التي اجتناها
اليربوع من سبيل هذه الفتن فقال الوزير ايها الملك السعيد المفدى
بالنفوس الزكية عش ما بدا لك ان تعيش وبلغت ما املت مما تحب فقولك
ما تهديه اليك من نعمك تخلو عليك من حاكى اي عرف في ناحية من

مما لك معقلا يطل به على أهل الأرض اطلال زحل على الكواكب تقابل ذو نك
الأفكار الأمجه والأبصار الطامحه وهو مع ذلك ذو هواء عليل وماء سلسبيل
وحدائق باسقه ومرافق متناسقه وقد كان بعض سلف الملك السعيد عني به
بعض العنايه فقطع عليه أمله الدثور الحتم القاطع عقد الحيوة فلما سمع
الملك ما دله عليه وزيره ملئ سرورا وركب مبادرا من فوره في خاصته
وثقاته حتى الى ذلك الموضع الذي دله عليه الوزير فوجد في رأيه عين أفضل مما
صوره الوزير في نفسه ووجد به رسوما وبقيه واثارا أقدا اثرها بعض من تقدم
من آبائه فحشد اليه المهندسين والصناع والبنائين وأمرهم بالجد في اكماله
وبادر اليه من فوره بنقل اليه خاص بيوت أمواله وخزائن سلاحه ونفائس
ذخائره وحشد رعيته لحمل الأزواد الذي لم يتيسر طويل البقاء وأعد لنزوله عدة
وهو مع ذلك يسد الثغور ويجند الأجناد ويشيد الحصون فلما مضت له ثلثة
أشهر من يوم كتبت له جواسيسه بحركة المرزبان اليه أقحم المرزبان ثغوره
في الجيوش المتوافره والعدة الكاملة وظهرت دعاة كسرى بتلك الناحية

فيمن استفسدوه من الرعيه فغلبوا على ما يليهم من البلاد واستعمل المرزبان
عليها عاملا من ثقات أصحابه ورتب فيها حماة من جنوده ومن أهلها ثم دخل
ببطون الأرض المملكة طيا فوافته جيوش الأركن فدافعته بعض الدفاع ثم انهزم
من كان في نفسه دغل فانهزم المناصحون بانهزامهم فاستولى المرزبان على عسكر
الأركن واستبقى النفوس وأخذ الأموال ثم جاوزهم ببطون الأرض طيا وكان
الأركن عندما أقحم المرزبان ثغوره قد بعث بحشمه أهله الى ذلك المعقل وجمع وجوه
مملكته حضرته فوعظهم وذكر لهم ما سلف اليهم من احسانه وذكر ما بلغه عنهم
من فساد الطاعه وما كرهه من امتحانهم ومعاقبة المسيء منهم فتبرموا لما
قذفوا به عنده وحلفوا له على استقامة طاعتهم وصدق مناصحتهم فقال لهم
الملك اني لم أجمعكم لهذا ولست بغافل عن عدوي ولا مستبعد الظفر به
والنصر عليه ولا يعزب عنه احد منكم غير انه أخبرني بعض وزرائي عن ملك من سلفنا
انه شرع في بناء معقل وعني به بعض العناية فحال بينه وبين ما اراد من ذلك
الأجل المحتوم على عالم التركيب فحملني على تكملة ما شرع فيه حذري قول الحكيم ان أبر

الملوك من تم به سعي سلفه واعفهم من انقطع سعيهم عنده ثم اني احببت ان اجعل
ذلك الحصن من عددي وذخايري لقول الحكماء ان احزم الرعاة من اعد لقضا المصايب النوايب
احكاما وقولهم يجب على العاقل ان لا يخلو من خمسة معاقل يتحصن فيها احدها
وزير صالح يتحصن برايه ⊙ والثاني سيف قاطع يتحصن بحده اذا غشي ⊙ والثالث
فرس سابق يتحصن بظهره اذا لم يمكنه الثبات ⊙ والرابع امراة جميلة يتحصن بها
زوجها ⊙ والخامس قلعة منيعة يتحصن بها اذا حزبه امر فاتخذت هذا المعقل
لتكمل به حصوني وتملي اليه ذخايري وما يكرم علي فمن اراد منكم ان يقتدي بي
في فعلي اخذا بالحزم فليفعل ولما فرغ من مخاطبتهم امرهم فخرجوا من عنده
فاقتدى به من كان ذا عقل وحزم فجهز والى ذلك المعقل اهاليهم واموالهم وذخايرهم
واما المرزبان فانه سار في تلك المملكة يطويها طي السجل لا يقاومه جيش الا هزمه
حتى اشرف على حضرة الازكن فنزل على فرسخ منها وتهيب الاقدام عليها وقد
كان الازكن امر الناس بالخروج اليه فخرجت امة عظيمة وخرج الازكن في
اربعة الف فارس من عبيده وخاصته وثقات اصحابه فقام بهم في ناحية معتزل

61

عن جيوشه ورعيته بظاهر المدينة وتهيا للقتال له ورتب صفوفه وكان في
المدينة دعاة من دعاة كسرى فاغتنموا الفرصة واهتبلوها عند خروج الملك
عن المدينة فظهروا واتبعهم من كان اطاعهم فوثبوا على خليفة الازكن فقتلوه
واستولوا على المدينة وضبطوها وبينا الملك قايما في جنوده بظاهر المدينة
اتاه رجل من الزمازمة حاسرا خايبا يلطم وجهه وينتف شعره فامر الملك بحمله
على فيله واستخبره فاخبره بذهاب دار ملكه وفساد رعيته وخيانتهم فانحاز
الملك في خاصته ومن كان ذا بصيرة في طاعته وتوجهوا امامه نحو الحصن
وانتهى خبره الى المرزبان فجرد خيلا لاتباعه فادركوه فوقف باراهم من كفاهم
وسار حتى دخل حصنه واما المرزبان فانه قصد المدينة فدخلها وضبطها
وملك اهلها واحكم امرها ثم سار بجيوشه الى ذلك الحصن فراى منظرا عجيبا
رايعا لم يمكنه النزول بالقرب منه فنكص الى حيث امن ونزل في جيوشه متحفظا
وكتب الى الملك الهندي كتابا يخاطبه فيه بالتعظيم والاجلال ويعرض عليه خصالا
منها ان يرده الى مملكته مكرما على ان يدين بطاعة كسرى فلما انتهى رسول

المرزبان الى الازكن جبه ولم ياخذ كتابه وامر بالعود الى مرسله
فيئس المرزبان منه وكان يقال صرفك النصح الى عدوك اضاعه
واصغاوك السمع الى حديثه طاعه **وكان يقال** اذا امكنت
عدوك من اذنك فقد تعرضت للغرق في بحره والحصول في وهن
نحره ⊙ وكان يقال عجبا لمن يصغي الى عدوه سمعا ⊙ وهو لا يرجو
عنده نفعا ⊙ وكان يقال اذا عجزت عن التخلص عن كلام عدوك
فانت عن التخلص من كيده اعجز ⊙ ثم ان المرزبان عاد الى المدينه
وكتب الى كسرى بالفتح وبما تهيا له من الامور ⊙ فامره كسرى
ان يقيم بتلك المملكه ويترك التعرض لذلك الازكن في حصنه
الا ان يبدو منه امر فساد وان يذكي العيون عليه ويقيم المصالح
في جهات حصنه ⊙ ففعل المرزبان ما امره به كسرى ولبث بذلك
مده وجعل اغتنام الفرس يعيثون في تلك المملكه ويعاملون
اهلها بالفظاظه والغلظه التي طبع الهند على ضدها فدبت

الشحنا

الشحنا في النفوس وحاطت اهل تلك المملكه الغيره لما راوا ان خراج
ارضهم يحمل الى غيرهم وينفق في غير اهلهم وعرفوا فضل ما كانوا فيه ومشقه
ما صاروا اليه فبسطوا السنتهم فخاف المرزبان ان يردعهم بالقول
فيستوحشوا منه فكف عنهم فكان ذلك داعيه الى زيادتهم في بسط
الالسنه ⊙ وكان يقال ايدي الرعيه تبعه لالسنتها فاذا قدرت على
ان تقول قدرت على ان تصول وكان يقال ترك نكير الصغاير مدعاة الى
الكباير فاول نشوز المراه كلمه سومحت عليها واول حران الدابه حيده سومحـ ت ⊙
عليها قبل واما الازكن الهندي فانه لما استقر في حصنه شاور وزراه
فاشاروا عليه بالصبر وكف الاذى وبسط العدل والاحسان وتامين
السبل واجاره المستجير وتالف المستوحش والاخذ بالفضل والعفو فاتخذ هذه
الخلال شعارا ودثارا فازدادت سمعته حسنا والقلوب اليه ميلا
والالسنه له شكرا واتفق ان عاملا للمرزبان على ثغر من تلك الثغور
اسا السيره فقام اليه رجل كان افضل اهل عمله فوعظه ونصح له فكره

العامل ذلك فكتب الى المرزبان يزعم ان رجلا من اهل عمله يعارض امره
ويؤلب العامة عليه فكتب المرزبان يامره بتوجيهه اليه مقيدا فاخذ
العامل الرجل فقيده وبعث به الى المرزبان مع رجال من الجنود فتبعهم
احداث من فتيان تلك الثغور وفتاكهم فقتلوا اولئك الموكلين بذلك الرجل
واطلقوه فاتى الرجل العامل فاخبره بما فعل اولئك الاحداث وانه عجز
عن دفعهم فامر به العامل فضربت عنقه وكان ذا منزلة عند اهل بلده
فوثبوا على العامل فقتلوه وقتلوا اكثر رجاله وضبطوا رساتيقهم
وثغورهم وانضوى اليهم من كان على مثل رايهم ومن كان في غير حصن
وكانوا من بلدهم فاجابوهم الى مثل صنيعهم وطردوا عمالهم فانتقضت الطاعة
لكسرى في مواضع كثيرة في تلك المملكة في اسرع وقت ولما انتهى ذلك
الى المرزبان جمع جنده وضبط حضرته على حال ذعر وشدة خوف وكتب
الى كسرى يستمده وكان اهل حضرته لما خرج عنهم رئيس الرمازمة وتوجه
مع ملكهم الى حضرته قد نصبوا مكانه خليفة وكان مرضيا عندهم فلما

راى ما فيه المرزبان من الذعر والتوقي وقصده من خالفه بالمحنة والعقوبة
دخل عليه المرزبان وقال له اني اريد ان اسالك عن شيء لطف علمه عندك
فقال المرزبان قل فقال رئيس الرمازمة بلغني مما اوصى به اردشير
بن بابك ملك بابل ابنه بهرام انه قال قد يخرج الرعية عنف السلامة الى
ما تريد من المعصية وانه قال في وصيته ينبغي للسياسة لمن يغلب على
ملك وغصبه ربه ان يحفظ الصورة والشريطة التي يسلم عليها تلك
المملكة فانها محفوظة عليه وثابتة في عقد تسلم تلك المملكة منه لانها
ستخرج من يده بمثل ما صارت اليه   وقيل ان هذه الوصية كانت مكتوبة
في مجلسه بازاء سريره وموضع قضائه ففهم المرزبان ما اراد الا انه احب
الوقوف على اخر ما عنده فقال له الامر على ما بلغك ايها الشيخ فقال
رئيس الرمازمة اذا كان الامر على ما بلغني فما لك لم تستعمل الحكمة
التي علمت وعنفت في سياسة الرعية عنفا اخرجها ولعله ان يخرجها
ولم تخف خروج هذه المملكة من يديك بمثل ما صارت اليك ...

فقال رئيس الرمانية اتقفوه وهدده وكان شيخا ضعيف البدن كبير السن
فسقط الى الارض مغشيا عليه وحمل الى منزله فمات بعد ايام فعظمت المصيبة
لموته وشاعت القالة وتحدث الناس من الشقاق بما كانت منقبضة عنه
وفشا ذلك في الرعية فنشوا اماما فاستخفوا المرزبان ووجوه من بحضرته
فوعظهم وحذرهم بطش كسرى ورغبهم في العاقبة فارضوه بالسنتهم
وتسللوا عنه وغلظ امر اهل الاطراف المنتقضة وشغل عنهم المرزبان
بتحصين البيضة فبعثوا رسلا الى الازكن الذي كان ملكهم يسألونه الصفح
عنهم وان يبعث اليهم رجلا يتخيرونه اليه فاعطاهم امانا عاما واستعمل
عليهم عاملا فالقوا اليه المقاليد واستبصروا في طاعته ونصحوا في
الذب عنه واضطر المرزبان الى ان يبعث اليه جيشا فبعث فعادوا منهزمين
مغلولين ولم يجد بدا من الخروج اليهم بنفسه فحصن دار الملك واستخلف
عليها من ظن انه يضبطها وخرج متوجها الى عدوه فلما فصل عن المدينة
وثب اهلها باصحابه فاثخنوا فيهم قتلا وتشريدا واحرزوا المدينة وبلغ ذلك

المرزبان

المرزبان فاستمر لوجهه وحارب جماعة من بلاد المملكة حتى قدم على كسرى طريدا
مغلولا وعاد الازكن الى دار ملكه فجرى على سنن العدل والاخذ بالحزم
وقمع شهواته واستعمل الحكمة التي افادته التجارب اياها

روضة رايقة وبهجة فايقة

بلغني ان امير المومنين عثمان بن عفان رضي الله عنه
قال لجلسائه وهو محصور في الفتنة وددت ان رجلا صدوقا اخبرني
عن نفسي وعن هولاي الذين حصروه فقام شاب من الانصار فقال
انا اخبرك يا امير المومنين انك تطاطات لهم فركبوك وتخادعت لهم فسلبوك
وما جراهم على ظلمك الا افراط حلمك قال صدقت اجلس ثم قال له هل لك
علم بما تشب الفتن قال نعم يا امير المومنين سالت عن هذا شيخا من تنوخ كان
بافقه قد تقلب في البلاد وعلم علما جما فقال لي ان الفتنة يثيرها امران احدهما
اثرة تضغن الخاصة والثاني حلم يجري العامة فقال عثمن رضي الله عنه فهل
سالته عما يخمدها قال نعم وقال لي ان الذي يخمد الفتن في ابتدائها استقالة
العثرة وتعميم الخاصة بالاثرة واذا استحكمت الفتنة فليس لها الا الحزم مع الصبر

فقال عثمان رضي الله عنه حينئذ نعوذ ذلك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين

تفسير الالفاظ التي اشتمل عليها هذا الخبر قوله بائقة اي داهية مجرب

ويقال فلان بائقة بقاع اذا طرق بقاع الارض واستفاد التجارب وقوله الاثرة

اي اختصاص بعض المستحقين للشيء به دون بعض وقوله الحامة يعني الخاصة

وقوله تضطغن اي تحقد والضغن الحقد وقوله الازم هو الصبر والحزم وحقيقته

الامساك على الشيء بالاسنان ● قال محمد عفا الله عنه هذا الحديث

ينحو الى ما ذكره الفرس ان يزدجرد بن بهرام سأل حكيما من الفلاسفة ما

صلاح الملك فقال الرفق بالرعية واخذ الحق منها بغير عنف والتودد بالعدل ●

وامن السبل وانصاف المظلوم ● قال فما صلاح الملك قال وزراؤه اذا اصلحوا

صلح قال يزدجرد ايها الفيلسوف ان الناس قد اكثروا لي الفتن فصف لنا ما

يثيرها وما يسكنها اذا ثارت قال يظهرها جرأة عامة ويولدها استخفاف خاصة

وتوكدها انبساط الالسن بضمائر القلوب واشفاق موسر وامن معسر وغفلة

ملتذ ويقظة محروم فقال يزدجرد وما الذي يسكنها ايها الفاضل قال يسكنها

قال

قال يسكنها ايها الملك اخذ العدة لما يخاف وايثار الجد حين يلتذ

الهزل والعمل بالحزم والادراع للصبر ● والرضا عن القضاء ●

السلوانة الرابعة وهي في الرضى

قال الله ● ربنا تقدس اسمه عاتبا من حط حكمته وتدبيره وسخط ●

قسمته وتقديره فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون

ثم نبههم على ما حرموه من فضيلة الرضى بقوله ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله

وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون

ووصف صفوته من خلقه بالرضى فقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ومن ما

يفهمك معنى رضي الله عنهم ورضاهم عنه ما روي ان موسى عليه السلام

قال الهي دلني على عمل اذا عملته رضيت به عني فاوحى الله عز وجل اليه انك

لا تطيق ذلك فخر موسى ساجدا متضرعا الى الله سبحانه فاوحى الله عز وجل

اليه يا ابن عمران ان رضاي برضاك بقضاي ● خبر نبوي في الرضى ●

من ما رويناه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اسألك الرضى بعد القضاء ●

قيل انما قال بعد القضا لان الرضا قبل القضاء انما هو عبارة عن العزم على الرضى
وتوطين النفس على الرضى بالقضاء اذا نزل وانما يتحقق الرضى بالقضاء بعد حصول
القضاء **خبر نبوي في مثل ذلك** من ما روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم ۝
لقي رجلا من اصحابه وقد اجهده المرض والحاجة فانكره النبي صلى الله عليه وسلم
وقال له ما الذي بلغ بك ما ارى قال المرض والحاجة يا رسول الله فقال له افلا
اعلمك كلاما ان انت قلته اذهب الله به عنك فقال والذي بعثك ما احب بها
ما يسرني بحظي منها انني شهدت معك بدرا والحديبية فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاهل بدر والحديبية ما للقانع الراضي **منثور**
ومنظوم حكم في الرضى روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كتب الى ابي موسى الاشعري ۝ اما بعد فان الخير كله في الرضى فان استطعت
ان ترضى والا فاصبر ۝ اعلم رحمك الله ان الرضى هو اطراح الاقتراح
على العالم بالصلاح ۝ اذا كان القدر حقا كان سخطه حمقا من رضي بحظه
ومن ترك الاقتراح افلح واستراح كن بالرضى عاملا قبل ان تكون له معمولا

ومن الـ

ومن اليه عادلا والا صرت نحوه معدولا ۝ وقيل للحسن البصري من
اين اتى الخلق فقال من قلة الرضى عن الله عز وجل فقيل له ومن اين اتى قلة الرضا
هم ۝
عن الله تعالى فقال من قلة المعرفة بالله عز وجل ۝ ومن ما قلته في الرضى

يا مفزعي في ما يجي ۝ وراحمي في ما مضى ۝
عندي لما تقضيه ما ترضيه من حسن الرضى ۝
ومن القطيعة استعيذ مصرحا ومعرضا ۝ ومن ذلك
كن من مدبرك الحكيم علا وجل على وجل ۝
وارض القضا فانه حتم اجل وله اجل ۝ ومن ذلك
يا من يرى حالي وان ليس لي في غير ما يرضيه اوطار ۝
وليس لي ملتحد دونه ولا عليه لي انصار ۝
حاشى لذاك الفضل والعز ان يهلك من انت له جار ۝
فان تشا هلكي فيا مرحبا بكل ما تقضي وتختار ۝
كل عذاب منك مستعذب ما لم يكن فقدك والنار ۝

ومن ذلك: إذا أنا لم أدفع قضاءً كرهته ... بشيءٍ سوى سخطي به وتبرّمي
فصبري له من حسن معرفتي به ... كما أن رضواني به من تكرّمي

روضة رائقة ورياضة فائقة: قيل إن يزدجرد الأثيم بن سابور ذي الأكتاف
لما وُلد له ابنه بهرام جور أخبره منجّموه بقوّة مولده وسعادة جدّه
ومصير الملك إليه بعد شدّة ومحنة وطول اغتراب وأنه ينشأ بين أمّة
ناشئة ذات همم عليّة وحلوم زكيّة ونفوس أبيّة وبهم يصير الملك إليه
فأجال يزدجرد فكره في خصائص الأمم ومزاياها فرأى أن العرب أولى
الأمم بتلك الأخلاق التي وصفها له المنجّمون ووقع اختياره عليهم فكتب
إلى النعمان الأكبر بن امرئ القيس بن عدي بن نصر اللخمي فاستحضره وأشخص إليه
جماعة وافرة من رؤساء العرب وسادتها فوصلهم وأبرّهم وأخبرهم بما يريده
من تمليك النعمان عليهم فأنعموا له بذلك فشرّف المنذر وتوّجه وملّكه
على العرب وسلّم إليه ابنه بهرام وأمره بكفالته فاسترضع له النعمان أربع
نسوة صحيحات الجسوم ذكيّات الفهوم سليمات الأعراق مرضيّات الأخلاق

امرأتين

امرأتين من العرب وامرأتين من الفرس وأجرى عليهنّ ما يصلحهنّ وانكفأ بهرام
إلى بلاده فبنى له الخورنق لما اتّفق من طيب هوائه وعذوبة مائه فأرضع
المرضعات بهرام أربعة أعوام ثم فطمنه وقد كان غلامًا ما جفر السرعة
شبابه ولما استكمل بهرام خمسة أعوام قال للنعمان انظر في تعليمي ما يحتاج
الملوك إلى علمه فجرت بينهما في ذلك محاورة قد أودعتها كتابي المسمّى بسرّ الغرر
المضمّن أنباء نجباء الأبناء. فكتب النعمان إلى يزدجرد يسأله أن ينفذ إلى ابنه
رجالًا من حكماء الفرس وفقهائهم ومعلّمي كتابتهم فأرسل إليه يزدجرد حاجته
منهم ثم إن النعمان ضمّ إلى بهرام رجالًا من علماء العرب وحكمائها ودهاتها
كانوا نابهين بالسياسة وخبيرين بكثير من اللغات وحفظ أخبار الملوك وسيرها
ومعرفة بأيام العرب وغيرها وكان نبيهًا حسّاسًا فأخذ بهرام كل واحد من معلّميه
ما عنده من العلم فلما استكمل من السن اثنتي عشرة سنة فاق معلّميه
كلّهم واعترفوا بفضيلته عليهم واستغنائه عنهم فصرفهم النعمان مكرمين
وكره بهرام مفارقة طلس لكونه يجد عنده من المحاسن والآداب السابقة

والأخبار والآداب ما لم يره مجتمعاً في غيره واستدعى النعمان من يزدجرد
من يعلم ولده الرماية والفروسية ومليح آلة المحارب فبعث إليه
يزدجرد بمن اراد منهم فمكثوا عند النعمان ثلاث سنين فاستفاد جميع
ما عندهم من ذلك وصرفهم مكرمين وامسك جلساً لشغفه به
ولما استوفى من السن خمس عشرة سنة استأذن النعمان الملك يزدجرد
في القدوم عليه بولده فاذن له في ذلك فوفد النعمان على يزدجرد بابنه بهرام
واوفد معه رؤسا العرب وزعماها واحسن يزدجرد وفادتهم واجزل
صلة النعمان وضاعف تشريفه وشرحه وامسك ابنه بهرام عنده
واحتبس بهرام جلساً لعلوق نفسه به وكان يزدجرد فظاً غليظاً ظالماً
عبوساً شديد الكبر غليظ الحجاب مجترياً على سفك الدماء واغتصاب
الأموال ولذلك سمي الأثيم فعامل ابنه بهرام بالقسوة التي طبع عليها واتعبه
وكده واستعمله على شرابه فتبرم بهرام بما ناله من ابيه وعيل صبره
وضاق ذرعه فشكا ذلك الى جلس فرق جلس لشكواه ثم اقبل عليه

فقال له ما

٦٨

فقال له ما معناه جلا الله كربك واعلا كعبك واطاب ذكرك في قلوب
الأمم وافواهها وكبت لعزك ملوك العرب والعجم وجباهها ان اولى
الناس بمحاض النصيحة من كان معروفاً بها ومندوباً لها ومدعواً إليها
ومخصوصاً عليه وانه كان يقال النصيحة بشعة المبادي حلوة العواقب
فهي كالأدوية يبشع استعمالها ويسر مآلها ويذم عبها ويمدح عبها وكان يقال
الامين يصحب الملك بالتقرب على الحرمة والمبالغة على النصيحة والخاين
يصحب الملك بحسن المداراة وافراط التذلل وكان يقال انما تسعد النصحاء
بالملك اذا كان مؤيداً بفضيلة العقل وان لم يكن كذلك شقي به النصحا
وسعد به ذوو الملق وهذا لان الناصح يتفق على من نصح له من عقله
وما لا عقل يدرك العقل وكان يقال اشد اللوم ان يضن بالنصح عن سمح لك
بالنفقة وان يستر الصواب عن هتك لك حجاب سره وكان يقال اولى العقلا
النصحا بقبول النصح منه واقبالك عليه من كانت سعادته شرطاً في سعادته
وعلة لها ومن كنت منه بهذه المنزلة فسعيه لك سعي لنفسه وذبه

عنك ذنب عنها ثم قال جليس لبهرام انه قد ساءني ان بهرام ابن الملك وضجره لما التي
من خدمة ابيه الملك وانا اشير على ابن الملك باظهار المسرة بما اظهره
التبرم والضجر اذا كان الملك قد استعمله على عمل لا بد للعامل فيه من
اظهار البشر والطلاقة وان من عجب الملوك بما لا يوافقها انكرت عليه
بالعطية ولا ينبغي مع هذا ان يظهر من ذلك ما يبطن خلافه فان الرياء
ينصل عن الطبع نصول الخضاب عن الشعر ولكن ليتامل ابن الملك الفضيلة
التي كرهها بعين العدل يظهر له حسنها وذلك ان الملك اسند اليك شرابه
الذي هو جامع لذته وجالب طربه ومسرته وراحة نفسه من نصب التدبير
ومشقته ووكل اليه مع هذا حراسة مهجته من ضيعة بحفظه في
مجالس خلوته ووثق بكفايته في صون شرابه من بلية وآفة تضمرها
اعداؤه ومن حمية الشراب او خلل يدخله على عقله السكر والاضطراب ولقبح
ان يعدل عن الولد الحبيب النجيب بهذا العمل العلي قدره العظيم خطره اذ كيف يطيب
نفس الولد الفاضل ان يرى لاباه سلوفا هذا العمل الى سواه فليصرف ابن الملك فكره الى

ما ذكرته

ما ذكرته ليكون ما يظهره من الغبطة من هذه الخطة راجعا الى عقد يوافقه
معنى يطابقه ولا يخالف من ذلك بما ينبئ رفضه ويتبرم منه بما يبعث بعضه
فينم عليه بما اسره نوع يستمر لا يبطله وتمكن الافكار فانه كان يقال الرياء سراب يخدع
الفطن القاصرة ولا يخفى عن النظار الباصرة وكان يقال انما يبسط سلطان
الرياء على السمع والبصر اللذين يدركان الشهادة دون الغيب فاما العقل فلا
ينبسط سلطان الرياء عليه لان الاول الاخر قد كاشف مكنون الغيب لا
ختصاصه اياه ثم قال جليس وقد فطن الدب على بلادته لرياء القرد فقال بهرام اخبرني
عن ذلك فقال جليس ذكروا ان دبا كان يسرح في غيضة ذات اشجار مثمرة وكان
في تلك الغيضة قرود وكان الدب يرى فوق القرود على الشجر والنظر في
لاغصانها وعجزه بذلك من اجتناء اطايب الثمرات فحدث نفسه بان يصيد
قردا منها ... ان يجني له الثمر فصعد شجرة والقى نفسه منها والقرده
تنظر اليه وجعل يتصور ويتخبط طويلا ثم تماوت وتجلد وفتح فمه واخفى نفسه
واجتمع القرده لرؤيته فقال لهم حازم منها انه لا يبعد ان يكون هذا الدب

متصنعا خادعا وان الحزم ان تتجنبه وتحذر منه ما لم يكن بد من الدنو منه فهلم
نجمع حطبا وندره حوله ونضرم فيه نارا فان كان متصنعا افتضح وان كان متبيا لم
ضرر علينا في احراقه وانه كان يقال عدوك لصديقك وحكم الضد بين البناي والنبا بن
والدابر وكان يقال لا تنظر الى رضا وطيها عدوك الا على تزقي احتراس وتوقي افتراس
ولا يغرك خروجه منها وبعده عنها فرغا رتب فيها شباكا ونصب لها اشراكا
وكان يقال لا تغش عدوك الا متسلحا متحرزا متحفظا ولا يغرك منه اسد الا انه لا لقاء
السلاح فما كل سلاح يدرك بالبصر وبدعو الراهب اللص مثل ذلك اذ اعد عليه
ما اراد فقالت القردة اخبرنا عن ذلك فقال ذكروا ان راهبا كان فاضلا من
الرهبان وكان متبتلا في قلاية له بظاهر اللاذقية وكان شيخا فانيا قد تكسر
العبادة وكان النصارى يحبونه بالصدقات فيصلها ويعطيها اهل الفاقة زهده
في الدنيا وان لصا من اللصوص راى كثرة ما يختص به ذلك الراهب من الصدقات
فحدث نفسه بان يتسور عليه قلايته وظن انه سيصيب عنده كنزا فتحين الله
من الليالي حتى تسور القلاية وحصل مع الراهب في بيت تعبده فوجده قائما يصلي
والسراج

والسراج يزهر في البيت فصاح اللص بالراهب استاسر ايها الشيخ قبل ان
القي عنك راسك فالتفت الراهب فراى اللص واذا هو شاب شديد
البنية وفي يده سيف مصلت فعلم انه لا قبل له به فقطع صلاته وفر بين يدي
اللص الى ناحية من البيت في حائطها طاق فادخل الراهب راسه من الطاق ورد
يديه الى خلفه كما يصنع بالمكتوف فلما راى اللص ان الراهب قد استسلم وخبا
راسه القى سيفه ووثب نحو الراهب ليقبض عليه فانخسف به ملحه وسقط
في دهليز القلاية سقوطا اوهنه فمكث على حالته لا يجد محيصا عن الموضع الذي
حصل فيه حتى اصبح فدل الراهب عليه فاخذ وصلب وقد كان الراهب اتخذ في
ارض الطاق نقبا وجعل عليه طبقا ينقلب بالولوج اذا اعتمد عليه وغطاه
ببعض فرش البيت فلما قصد الى الطاق هاربا بين يدي اللص خطر في ذلك الموضع
وتخطاه الى موضعه فلم يضع رجله على الطبق واللص لا يعرف ذلك
ولا استعمل الحزم بالحفظ بل عول على ما ظهر له من استسلام الراهب ولم يدر
ان له قد اعد له سلاحا لا يدركه البصر فلما سمعت القردة المثل الذي ضربه لها جاز

فيها توقف

عن الاقدام على الدب واستشرت بجمع الحطب لاحراقه فابى غيرٌ من القردة لم يكن حاضرا
ذلك الموضع ولم يسمع مقالة الحازم فدنا من الدب واصغى باذنه الى انف الدب
ليستمع حس نفسه فقبض الدب عليه وعمد الى عرق من عروق الخيزران فربط
طرفه في وسط القرد وكلفه ان يصعد الشجر فيجتني له اطايب الثمر ويلقيه اليه
والدب ممسك بالطرف الاخر من الخيزران فلبث القرد بذلك نفسه يومه ثم انصرف
به الدب الى غار فادخله فيه وسد بابه عليه بصخرة فلما اصبح عاد الى القرد
فاخرجه من الغار وانطلق به الى الغيضة فجنى له الثمر عامة نهاره ثم راح به
الى الغار فسجنه فيه فلبث بذلك مدة والدب قد بلغ مناه والقرد باسوء
حال واعظم مشقة يبطل نهاره في خدمة الدب ويبيت ليلته في سجنه وكان
يقال من تعرض لما لا يعنيه تورط في ما يعنيه وكان يقال شهوات العاقل
من وراء فكرته فاذا انبعثت له شهوة ومرت بفكرته فعرض مباديها وعواقبها
وتدبيرها حكم الراي وفكرة الاحمق من وراء شهوته فكلما انبعثت له شهوة
مر نافذا لوجهها لا يصدها شي وكان يقال انما كان تيسير المؤنة المتحملة للعدو

لان الارواح تحمل من الالام اضعاف ما تحمل الابدان فصبر الادبي بها عاما ولبس
ذلك المؤن المتحملة للحبيب لان الارواح تتلذذ بها وتخدم الابدان لها قبل ان
القرد تفكر في حاله فظهر له ان نصيحته في خدمة الدب تمنعه من الخلاص
منه فندم على نصحه في خدمته وعلم انه لن ينجيه منه الا الحيلة فطالت
فكرته في ذلك الى ان انتجه له وجه الحيلة فيه وكان يقال اذا كان المملوك
مبتلى بالشهوة بليد الفكرة رذل الهمة فهو سلم لمالكه وان لم يكن بهذه الصفات
فان له فيه شريكا هو املك به من سيده وذلك انه اذا كان متحرك
الشهوة كان منقادا لطاعتها واذا صحت فكرته اعملها في طلب الراحة من
النصب والخلاص من الاسر واقامة الحجج في الدفع عن نفسه واذا سمت همته
اتصف بالعصبية والانفة والحقد وتدبير ما يدل لا يأمن به سيده قبل وكان مما احتال
القرد عليه من الخديعة للدب ان تظاهر بضعف البصر فكان يلقي الى الدب من
الثمر الاخضر فنهاه الدب عن صنيعه فلم ينزجر وضربه فلم يرتدع فلما
طال عصيانه عليه قال له اني قد سئمت من زجرك وضربك وقد حدثتني نفسي

بالملك لانه لم يبق لي بيتك منتفع وكان يقال اذا لم تجد عن الخدمة الا من ساء ادبه
فاستخدم نفسك ولا تستخدمه لانه يحمل على قلبك من المشقة اضعاف ما يحمل
على بدنك فقال له القرد اني استحي على ما تصفني به من سوء الادب ولو قتلتني
لندمت ندامة الطحان حين قتل حماره فقال له الدب اخبرني عن ذلك فقال حكي ان
طحانا كان له حمار يطحن به وكانت له زوجة سوء يحبها وهي تحب جارا لها وذلك
الجار الذي تحبه يبغضها ويمتنع منها فرأى الطحان في منامه قائلا يقول له
احتفر كذا من مدار الطاحونة تجد كنزا فحدث امرأته برؤياه وامرها بكتمانها وكان
يقال من زعم انه يحذر احدا في افشاء سره الى غيره فاتهم عقله لان منفعة
الاستبداد بالسر وترك المشاركة فيه اقل من مشقة الحذر من انتشاره بسبب
المشاركة فيه وكان يقال ان امران يسلبان الحر جمال الوجه وهما قول [illegible] وافشاء السر
وشرح هذا ان من قبلت سره فقد اوجبت على نفسك الحفظ [illegible] الاحسان
برق الانسان وكذلك من اطلعته على سرك وان حذرك من افشائه لم يرك
التقية له وكان يقال المرأة مؤهلة لبيت نعمة وطعام زمه وولد تربيه وذن

تدبيره وشتو تسكنه وتبيره ممن اشركهما في امره واطلعهما على سره فقد الحق
بجاهلهما اذ ليس في قواها الا اللحاق بعالمه قيل فلما حدث الطحان امرأته برؤياه
اخبرت جارها الذي تهواه وتقربت بها من قلبه فواعدها ان يطرق الموضع ليلا
ليتعاونا على حفره وفعلا ذلك فوجدا الكنز واستخرجاه فقال الجار للمرأة لها كيف
نصنع بهذا المال فقالت المرأة نقسمه نصفين بالسواء فينطلق كل واحد منا
بنصيبه الى منزله ونفارق انت زوجتك واحتال انا في فراق زوجي ثم تتزوجني
فاذا اجتمعنا على النكاح جمعنا المال وكان بايدينا فقال لها جارها انا اخاف
ان يطغيك الغنى فتستبدلي غيري وانه كان يقال الذهب في المنزل كالشمس في
العالم وكان يقال من بلغ من اليسار ما فوق قدره تنكر لمعارفه وكان يقال لا تسمح
لولدك ولا لزوجتك ولا لخادمك بما فوق الكفاية فان اطغاهم لك بفقد حاجتهم
اليك ثم قال لها بل الرأي ان يكون جملة المال عندي ليحرصني على التخلص من زوجك
واللحاق بي فقالت له المرأة اني اخاف منك مثل الذي خفت مني ولست مسلمة
اليك حظي من هذا المال فلا تحسدني على حظي منه وقد اثرتك بالدلالة

عليه وانه كان يقال انما كان العدل والانصاف مشكورا عليهما لفساد الزمان
لان الشكر انما يجب لمن يفضل فيخرج عن قوله واما من اعطى الحق اهله فهو محمود لا مشكور
فلما سمع مقالتها دعاه البغي والشره واخذ من نميمتها عليه الى قتلها فقتلها والقا
في موضع الكنز وبغته الصبح فاعجله عن تواريها فاحتمل المال وخرج ودخل
الطحان على اثره فربط حماره في المدار وصاح به فمشى خطوات ثم اعترض الحفر
والعثيل بين يديه في مداره فوقف فضربه الطحان ضربا شديدا والحمار يتلوى
ولا يمكنه التقدم والطحان لا يدري ما بين يدي الحمار فاخذ سكينا ونخسه
نخسات كثيرة ثم استشاط غضبه وطعنه بها على خاصرته فمرت فيه
السكين وسقط ميتا ولما انتشر الضوء راى الطحان الحفر ووجد امراته فيه
قتيلا فاستخرجها فراى اثار الكنز فاشتد اسفه على ذهاب الكنز وهلاك
المراة والحمار فقتل نفسه فلما سمع الذئب مقالة القرد قال له قد طمعني فيها
ضربت من المثل عذر الحمار فما عذرك انت فقال له القرد ان بصري ضعف
واخاف ان يذهب بالجملة فان رايت ان تنظر في صلاحه فذلك بيدك

فقال له الذئب

فقال له الذئب ومن لي بصلاح بصرك فان فيه صلاحي فقال القرد ان الاطباء
كثيرة ولكن العاقل لا يبسط لاكله من لم يكن من عالمه وان للقردة بهذه
الارض طبيبا تصفه بحاذقة القبيبا والزهد في متاع الدنيا واني لم استروح
العافية من لقائه واستلوح الفرج من لقائه فاجابه الذئب الى ما اراد فقصد
به القرد قردا كان موصوفا بالخبث والدهاء فلما بلغا اليه فر من الذئب
فصعد شجرة وقام الذئب تحتها فقص عليه علة علته ورغب اليه في مداواته
فقال له القرد الخبيث دعه يطلع حتى انظر الى عينيه فارخى له في الخزانه
فصعد فجعل يتامل عينيه ويساله عن ضرره فقص عليه خبره مع الذئب
وساله ان يفتح له باب الحيلة في الخلاص من يده فقال له القرد الخبيث اني
ساحمله على السهر فاحتل لنفسك بانتهاز الفرصة اذا نام وكن على حذر
من انتباهه ثم امره بالنزول فنزل واقبل القرد الخبيث على الذئب فقال له
انه ينبغي ان اعرفك داء عينك هذا قبل ان ادلك على دوائه اذ يستحيل العلم بالدواء
من الجاهل بالداء فاعلم ان القردة انما صحت جسومها وقلت همومها وتوفرت فطنتها

نه

وفهومها لابنها وقرنت على السهر دواعيها وجعلت لليلها حظا من مساعيها
وانه كان يقال كثرة النوم تجلب الدمار وتسلب الاعمار وكان يقال من لزم الرقاد
حرم المراد وكان يقال لا يصح ان يقال في حد الجود سماحة النفس بالنفس
ولو صح هذا لكان اجود الاجواد من كثر نومه لانه سمح بحياته التي لا احد لها
كفوا ولا يصيب منها عوضا ثم قال الفرد للحبيش للذيب انك لما اخرجت
عبدك هذا عما اعتاده اذ دخلت عليه الفساد كما صنع بالطاير الذي صيد
لابنة الملك فقال له الذيب اخبرني عن ذلك فقال الفرد ذكر ان ملكا من ملوك
اليونانيين كانت له ابنة تكرم عليه جدا فهاجت بها المرة السودا وادخلت
عليها انواعا من الامراض وبلغ بها الامر الى الامتناع من الغدا والدواء فاشار
طبيبها بان تنقل الى ارتفاع تشرف منه على بستان موثق وماء جاري
ففعل ذلك بها فرات في ذلك اليوم الذي نقلت فيه الى ذلك العلو طايرا فيه
من كل لون فنزل على دالية فاكل من عنبها ثم غرد تغريدا عجيبا بانواع
من النغم المطربة فارتاحت الجارية لما رات وسمعت من الطاير واستدعت الغدا

وكان

وكان يقال افضل النغم المطربة ما سمع من الصور الحسنة لانه تحرك الشهوة والطرب
فتثار القوتان وتفعلان فعل الادوية المركبة فانها انجع من الادوية المفردة
واشد فعلا وقيل ثم ان ذلك الطاير اسرع الذهاب ولم يعد يومه ذلك
فظهر على ابنة الملك القلق لغيبته ولما كان الغد عاود الطاير الدالية
في مثل وقته بالامس فسرت ابنة الملك بعودته فاستبشرت وارتاحت
واكلت وشربت وانصرف الطاير في يومه كما انصرف في امسه ثم عاودها
القلق لغيبته وبلغ الملك خبرها في ذلك فامر باصطياد ذلك الطاير
فاصطيد وجعل في قفص واتحف ابنته به فاشتد سرورها واغتدت
تتداوى ورأى الطبيب انتعاش قواها فعالجها وطمع في سلامتها ولم
يعلم بامرها مع الطاير وان ذلك الطاير لبث عندها اياما لا يصوت ولا يطعم
شيا واضر حبسه في القفص فعادت الجارية الى اسوا حالها وجعلت تذوب
لما نالها لاهتمام بامر الطاير مضافا الى مرضها وعلم بذلك ابوها فندم على
اصطياد الطاير وكان يقال لا تكن بالمستبد المبادر الى الاجوبة عن المسائل

عن المسايل قبل ان يتدبرها ويتفكر فيها ويتفرغ عنها وتبذل الدفع ما يمكن ان
يعترض به على جوابه ويكرمه خصيه من المناقضه لاصوله كما انك لا تشبه
الغمر الذي لا يتجاوز مبادي الاراء الى عواقبها ولكن تشبه بمن يتفكر في الاواخر
قبل ان يجيب عن الاوايل كما تشاور المحنك المتدبر لبطون الامور وظهورها
المطلع على مباديها وعواقبها ⊙ قيل فلما علم الطبيب ما انتقلت حال الجاريه
من الفساد علم ان ذلك لعارض طرا عليها فبحث عنه فاطلع على قصتها مع
الطاير فاشار بان ينصب شباك محيطه بالبستان علوا وسفلا فصنع ذلك على
ما اشار به ثم اطلق الطاير في البستان فلما رجع الطاير الى ما اعتاده والفه
راجعته صحتها وحسنها وعاوده تغريده فصلحت بذلك حال الجاريه ونقت
من مرضها ⊙ قيل فلما انقضى المثل قال له الدب قد سمعت مقالتك ووعيت حديثك
فامرني بما فيه مصلحة عيشي هذا اطع امرك فقال له القرد انني لامرك بما حركني في
مسرحك من الليل فان ذلك زيادة في عمرك وطعمتك ونعمتك وهيجا للنشاط كـ[illegible]
بنشاطك
مضاعفا للذة منامك ومساعفا لمصلحة غلامك فشكره الدب على نصحه

وانطلق

وانطلق بعده الى مسرحه فاجتنى له نهاره ذلك اخبث الثمر فلما جاء الليل اظهر
القرد نشاطا وفرحا واجتنى في اضعاف ما يجتنيه ثمرات طيبه فلبث بذلك
صدرا من الليل ثم انقلب به الدب الى المغاره فسحته بها وغدا عليه لعادته
ولبث القرد اياما يتظاهر فيها اذا جاء الليل بقوة البصر ويجتني للدب اطايب
الثمر على حال التدرج والتسلم لتسكن نفسه الى الثقه بالقرد بل يتكهن عليه انه
مرائي متصنع خادع وكلما تزيد القرد من تصنعه تزيد الدب من الريبه به وانه
ليله من الليالي اراد الانصراف الى ماواه فجعل القرد يماطله ويقول ها هنا ثمرات
طيبات فاخذ الدب لما طبع عليه من الشره والنهمه وكانت ليله مقمره فحدث الدب ب
نفسه بان يتناوم ليختبر القرد ويمتحن طويته به فتناوم وجعل يغط فما ادرك القرد
ان وثب هاربا وجذبه الدب بالخيزرانه جذبه شديده فانقطع ظهره وهلك
قيل ولما بلغ جلش غايه هذا المثل الذي ضربه له بهرام امسك عن القول فقال له
بهرام ما ابهجني بقربك واقر عيني بما تفيدني من حكمتك وتقربه الي من امثالك
وتجلوه علي من ملحك ولئن بعثت الى ابن [illegible] ولي الى دوله لاجعلنك اول داخل علي

وآخر خارج عني وسأروض نفسي بآدابك هذه مستعينًا بالله سبحانه ثم سجد جلس ودعا

له بنجح الآمال ثم ان بهرام جور شهر والده ليلة من الليالي سروره وقد نضد النوار بين يديه

فكان مثل الزرابي المحملة والتيجان المرصعة فتذكر بهرام ايامه عند النعمان وانتجاعه

الرياض الانيقة وشربه فيها على الازاهير المطلولة الى ما كان يتبعه من مباكرة

الوحوش في مغانيها ومرادها والتفكه في طرادها واصطيادها فاطرق واستولى

عليه الفكرة وعلت نفس الصعداء وابو يزدجرد يسارقه النظر ثم انه استفاق

فنظر الى ابيه وعلم انه كان بمرأى منه فاسقط في يده ولم تمض الا ساعة حتى قبض الملك

بشره ونكس راسه فنهض كل من حضره من ندمائه وسماره وكانت تلك عادة

ملوك الفرس اذا عطس الملك فيهم او اطرق لم يبق بحضرته احد الا استوى قائما

على حال من الخشية والسكون وكان ليزدجرد مضحك ظريف اللسان لطيف الفطنة

حسن المزاح جيد النادرة يضحك الالد يحضر ذلك المقام وفطن للامر الذي

تكدر له الملك وان ذلك لما كان من عبوس ولده واطراقه في مجلس المسرة فحدث

ذلك المضحك نفسه ان يحسن الى بهرام ويصطنع عنده يدا فيحتال له بحيلة يخلصه

يخلصه بها من غضب الملك وبينما هو يناجي نفسه بالحيلة في ذلك رفع

الملك رأسه الى المضحك ونظر اليه كأنه يحركه على ان يصنع شيئا فيه سلوة

له فسجد المضحك ثم جثا على ركبتيه ثم قال ان الحليم الذليل يستأذن الملك في

ان يخبره عن نفسه بخبر عجيب فنظر اليه يزدجرد كالآذن له فقال المضحك ان

العبد كان في حداثة سنه كلفا بالنساء مفرط الشغف بهن الا انه كان ملولا

لا يثبت على محبة من احب منهن وكان كلما استحسن امرأة هام بها وتهالك

في حبها وكان يقال من اتبع لحظه هواه أدحضه وأهواه ○ وكان يقال

كن من عينيك على حذر فرب جموح حين جناه جموح عين ○ وكان يقال ما احول الملو

ان يكون المامول ○ وكان يقال السآمة من اخلاق العامة لا من اخلاق السامة

وكان يقال التنقل من قلة الى جبلة كالتنقل من ملة الى ملة ثم قال المضحك

وان العبد دخل بلاد السند فبينما هو يطوف بعض مدنهم رأى امرأة

لم ير قبلها مثلها في حسن الصورة وامتداد القامة ورشاقة الحركات ولباقة

الاشارات وسحر الطرف والنظر فتبعها العبد وهو لا يدري موطئ قدميه

من الدهش حتى بلغت منزلها فدخلت ولزم العبد باب منزلها ليلا ونهارا فارسلت
اليه تستعفيه من لزوم بابها وتحذره سطوة اهلها فشكا العبد الى رسولها
ما يلقاه من الشغف واعلم الرسول انه لا معدل له عن بابها وانه مستميت في
طلابها فلهيت عن العبد مرة ثم اعادت الرسول اليه فرد العبد لها مثل كلامه
الاول فارسلت الى العبد تقول له انى اظن بك الملل والغدر ولولا ذلك لاسرعت
الى مساعدتك وانى متزوجتك بشرط الوفاء فان غدرت بي اهلكتك بعد ان
انكل بك نكالا يضرب به المثل فان التزمت هذا الشرط والا فانج بنفسك قبل
ان يتعذر عليك الخلاص ⊙ وكان يقال اربعة ترتفع الرحمة عنهم اذا
نزل بهم المكروه من كذب طبيبه فيما يصفه من دائه ⊙ ومن تعاطى ما لا
يشتغل بعابه ⊙ ومن بذر ماله في لذاته ⊙ ومن قدم على ما حذر من
آفاته وكان يقال من اوضح وبين فقد نصح وزين ⊙ ومن حذر وبصر فما غدر
ولا قصر قال المصحك فالتزم العبد الشرط واعطى من نفسه المواثيق على الوفاء
فتزوج العبد المرأة وبلغ منها امنيته ولبث معها مدة فرأت نهارا يترقب لها

فلمحها

فلمحها العبد فاعجبته ومالت نفسه اليها فتبعها العبد الى منزلها وجعل
يراسلها ويلازم بابها فتبرمت به وشكته الى المرأة فعاتبته امرأته على
ذلك وزجرته واذكرته العهود ونهته وازداد لجاجا فلما رأت ذلك منه
سحرته فصار اسود اللون مشوه الوجه وجعلت تستخدمه في كل مهنة
فما شغله ما هو فيه عن ان هوي امة سوداء فجعل يتبعها في تصرفها ويتعلق
بها ويتودد بها فلما كثر ذلك على الامة شكته الى المرأة التي سحرته وكان يقال
انما كان طبع المطبوع املك به من ادب المؤدب لان الطبع اصلي وثمرة القوى
الناشية معه فهو املك بالنفس التي هي محله لاستيطانه اياها وكثرة اعوانه
بها والادب طارئ على المحل غريب به وكان يقال افضل المؤدبين سعيا من رام
من المتأدب ان يعاونه على نفي طبعه عنه وكيف وطبعه اولى به واقرب اليه
وآثر عنده من مؤدبه لكن المؤدب الماهر من طلب المتأدب بستر المذموم
من طباعه وتغييبه والتورية عنه قال المصحك فلما بلغ امرأة العبد ما
كان منه اشتد غضبها عليه ثم سحرته فصار حمارا فجعلت تركبه وتستعمله

في أشق الأعمال ويستعمله في أثقل الأحمال فلبث بذلك مدة طويلة ولم يشغله
ما هو فيه من البلاء عن أن هوي أتانًا فاشتد شغفه بها وكان يقبلها ويهواها
ويطلبها أشد الطلب ويردعها بالضرب فيلقى من ذلك بلاء شديدًا واتفق أن امرأة
العبد التي سحرته زارت ابنة ملك تلك المدينة فكانت معها في علو أشرفت منه
على ما حوله وكان العبد في ذلك اليوم قد استأجره شيخ ضعيف البدن كبير السن
فاحتمل عليه أواني فخار في حر الظهر ومر به على قصر ابنة الملك فرأى عند القصر تلك
الأتان التي هواها فما ملك نفسه أن نهق وقصدها وفعل ما تفعل الحمير عند
مثل ذلك وجعل الناس يضربونه من كل جانب والفخار يتساقط عن ظهره
والشيخ صاحب الفخار يصيح ويستغيث بالناس وجعل الصبيان والسفلة
يطعطعون من كل جهة والأتان فارة من بين يديه ترمحه وهو يطلبها على تلك
الحال فرأت ابنة الملك ذلك كله فأعجبها وأضحكها فقالت لها امرأة العبد التي
سحرته يا ابنة الملك ألا أخبرك بأعجب مما رأيت من هذا الحمار قالت لها بلى
فافعلي فقالت إنه زوجي وقصت عليها خبر العبد فاشتد تعجبها مما سمعته

وسرت

وسرت به ثم سألتها أن تبطل سحر العبد وتخلي سبيله فأجابتها إلى ذلك وأبطلت
السحر عن العبد فعاد بشرًا سويًا ولم يكن له هم إلا الفرار من بلاد السند فلما
انتهى المضحك من حديثه إلى هذا الموضع سكت وقد كان الملك يزدجرد اشتد
ضحكه لما سمعه من حديث المضحك ولما شاهده من حركاته في وقت حديثه فلما
سكن ضحكه وعاود الوقار والأبهة أقبل على المضحك وقد أكبر له فقال ويحك
ما حملك أن تكذب هذه الكذبة الشنعاء كأنك ما علمت أنا نحظر الكذب على
رعيتنا ونعاقبهم عليه وقد قالت الحكماء الكذب كالسموم التي تقتل إذا استعملت
مفردة وقد تدخل في تراكيب الأدوية فينتفع بها فلا ينبغي للملك أن يطلق
الكذب إلا لمن يستعملها في المصالح الكذب في كيد الأعداء وفي تألف البعداء
كما لا ينبغي أن يطلق تملك السموم التي ذكرناها إلا للمأمونين عليها المانعين
لها من المفسدين فقال المضحك أيها الملك السعيد إن هذا مثل تضمن من الحكم
ما يعود بمصلحة المرتاضين والذي حملني على ذكره أمر يلزم ستره عن غير الملك
فأشار الملك إلى جلسائه فقاموا عن مجلسه ثم قال للمضحك هات ما عندك

فقال المضحك ان عبد الملك يخبره ان ولده الفاضل بهرام عاشق فقال الملك لمن
فقال لابنة الاصبهبذ فقال الملك لقد كان من بهرام في هذه الليلة ما بدا لي على
صدقك ولا لوم على ولدنا في ذلك اذ لم يضع من نفسه محبة ابنة حافظ ملكنا
وسند لوائنا وسيبلغ ولدنا امنيته ويحسن اليك بالهدية على امره
فاكتم ذلك حتى ينفذ امرنا فيه ثم ان يزدجرد اذن لوزرائه وندمائه وسماره
ومطربيه فعادوا الى مجالسهم واخذوا فيما كانوا فيه ورجع الى يزدجرد
سروره وطربه الى ان انقضى مجلسه وخرج القوم من عنده فتبع المضحك بهرام
واخبره بالخبر على وجهه فشكره بهرام ووصله ثم ان يزدجرد انكح ابنه بهرام
بنت الاصبهبذ ولم يزل بهرام يروض نفسه على الرضى بخدمة ابيه حتى انقادت لما
اراد منها فلبث بذلك الى ان قدم اخ لقيصر على يزدجرد ساعيا في الصلح والهدنة
والموادعة فاكبر يزدجرد فضله وعرف له فضيلته واحسن نزله فلما راى بهرام
منزلة اخي قيصر عند يزدجرد استشفع به عنده في رده الى النعمان فشفعه
واذن لبهرام فتحول الى بلاد العرب وكان فيها على ما احب الى ان هلك ابوه وورثه ملكه

قال محمد

قال محمد عفا الله عنه هذه خاتمة سلوانة الرضى وقد عن لنا ان
نذكر ما نختم به بحثها وهو الاخبار عن مهلك يزدجرد وما احدث
رعيته بعده وكيفية مصير الملك الى ابنه بهرام وذلك فيما ذكر المعتنون
باخبار ملوك الفرس ان يزدجرد لما كثر عسفه واشتد عتوه وعدل
عن مناهج سلفه من العدل والرافة اجتمع وجوه رعيته من ذوي
الصلاح عندهم فدعوا الله تعالى على يزدجرد وسالوه معافاتهم منه
فرحم الله ضراعتهم واستجاب دعاءهم وبينما يزدجرد جالس في منتزه له
دخل عليه خاصته فاخبره ان فرسا متوحشا غريبا حتى قام بباب الملك ن
الناس يهابونه فلم يجترئ احد على ان يدنوا منه وان الخيل قد نافرته فلم تقدم
عليه فاستخف يزدجرد ما سمعه من وصف الفرس فنهض نحو الفرس فلما
عاينه تملى اعجابا به ودنا منه فخضع له الفرس فمسح يزدجرد بناصيته
ووجهه وقبض بناصيته وامر باسراجه والجامه فالجم واسرج فقال
ان يزدجرد استدار بالفرس ومسح كفله فرمحه الفرس رمحة خر منها ميتا وولا

وملأ الفرس فرحة عدوا فما عرف الى اين توجه ويقال بل ركضه يزدجرد
وحركه فسبق الابصار حتى اتى البحر فاقتحم به فيه والله اعلم اي ذلك كان ولما
الفرس ان الله سبحانه قد اراحهم منه اجتمعوا على ان يخرجوا الملك عن ولد
يزدجرد ويخرجوه وامنه ان يسير بهم مثل سنة ابيه فملكوا رجلا من ابنا ملوكهم
السالفة يقال له كسرى وكان مرضيا عندهم فمحا ما شرعه يزدجرد من الظلم وا عفى
الفرس من جميع ما كرهوه فعرف الفرس ركة رايهم في تمليكه وانتهى الخبر الى النعمان
فاطلع عليه بهرام واخبره انه عضده وناصره وباذل نفسه وماله في مرضاته
فشكر له بهرام وامره ببث الغارات على اطراف بلاد الفرس مع الكف عن سفك الدما
فامر النعمان العرب بفعل ذلك ففعلوه فاشتد ضررهم وارسلوا الى النعمان يستعطفونه
ويسلونه العود الى الحسان المجاورة فلما انتهى الرسول الى النعمان قال لهم انما الحاكم
الملك بهرام افعل ما امرني به فاذهبوا اليه فذهبوا اليه فلما عاينوه ملا عيونهم
جمالا وصدورهم جلالا فخروا له ساجدين وسالوه العفو والصفح فاحتمل خطابهم
وبسط آمالهم وامرهم ان يبلغوا من وراءهم انه حسن الراي فيهم معتمل لاصلاح

حالهم

حالهم وانه متوجه اليهم ليبلو اخبارهم عن نفسه واقامة الحجة عليهم فليتأهبوا
لذلك ثم صرف الرسل مكرمين وامر النعمان فكتب له عشر كتائب في كل كتيبة الف فارس
من انجاد العرب ثم سار بهم وسار النعمان بين يديه في جيش كثيف فلم يكن عند الفرس
لهم مدفع حتى انتهوا الى دار الملك فنزلوا بظاهرها فخرج اليه زعما الفرس وحفظة
دينهم ونصب لبهرام كرسي فجلس عليه وقام النعمان بين يديه وتقدم اليه القوم
فسجدوا له وقاموا لديه فاذن لهم في الكلام فتكلم رئيس الموابذ فحمد الله وذكر
رافته بخلقه ثم ذكر ما شاربه يزدجرد من الجور وما فعل الله به ثم اتبع ذلك
بذكر كرامة الفرس للملك من ولد يزدجرد فلما تخوفوه من سلوكه سبيل والده ولا
وقد نشا بين الاعراب الذين يصلحون جسومهم بالحراب الارض وساله ان يعفي الفرس
مما كرهوه فانهم لا يملكونه طائعين ولا يقصرون في دفاعه عن ذلك بكل ما امكنهم فلما
قضى رئيس الموابذة كلامه تكلم بهرام فحمد الله سبحانه وشكر نعمته عنده وصدق
رئيس الموابذة فيما نسب اليه يزدجرد من الجور والعسف ثم اتبع ذلك بذكر ما يتمنا ه
من مصير الملك اليه ليزيل رسوم الجور ويشيد قواعد الحق ويدنو الرعية من خلاله

سبيما

رأفته واحسانه اضعاف ما اذاقهم ابوه من غلظته واسائته ثم اعلمهم انه لا يترك
تراث ابيه ولا يالو جهدا من تحصيله وانه مع ذلك يدعوهم الى ان يضعوا تاج الملك
وزينته بين اسدين ضاريين ويحضر هو وكسرى المتغلب على ملكه فمن اخذ التاج والزينة
من بين الاسدين فهو بالملك اولى وذكر لهم انه انما يفعل ذلك رأفة برعيته وصونا
لهم عن مقاومته ودفاعه وثقة بنصر الله وعونه لما يعلمه من حسن نيته
وخلوص نيته ورغبته في اصلاح الارض واهلها فرضي زعماء الفريقين بما دعاهم اليه
من ثقته ورجوا الراحة منه بذلك من غير مشقة تنالهم في دفعه عنهم وعجبوا
عنه متعجبين من جماله وكماله وفصاحته ونهيته ثم عمدوا الى اسدين ضاريين
فجوعوهما واخرجوهما الى ظاهر المدينة في قفصين من حديد في عنق كل واحد منهما
سلسلة في طرفها وتد من الحديد فضربوا الوتد في جنبتي مجلس وجعلوا
بينهما بقدر ما اذا خرج كل واحد من الاسدين وقصد الاخر بلغ اليه وجعلوا
تاج الملك والزينة بينهما وحيث يعجز كل واحد من الاسدين الوصول اليهما والذب
عنهما وفتحوا القفصين عن الاسدين فخرجا وقد اجتمعت امة عظيمة من الفرس

واجتمع

واجتمع العرب فقاموا ازاءهم فخرج بهرام من قبته وقد شد وسطه بمنطقة وجمع
ذيوله اليها فقام بازاء الاسدين بين الصفوف فنادى كسرى اخرج ايها الموثب
في ملكنا المتغلب علينا اشاعر ابائنا فخذ تاج الملك الذي انتزعته من اهله
فاجابه كسرى انك اولى بالتقديم الى ما اعطيته من نفسك لانك الداعي اليه
المتقدم به ثم انك تطلب الملك بوراثة وانا غاصب فدنا بهرام من الاسدين
ولا سلاح معه فلما راى عسرا لمواتبه ان بهرام قد عزم على فعل ما بذل من نفسه
ناداه يا بهرام انك مهلك نفسك ولا اثم علينا فيك فقال بهرام اجل انا جعلت ذلك على نفسي
للذين اقتربكم ولا بد من فعله ⊙ فقال له موبد ان كنت فاعلا فتب الى الله
بذنوبك وتب اليه واستغفره فذكر بهرام ذنوبه وتاب الى الله منها وسأله العون
ثم دنا من احد الاسدين فقصده الاسد فلما قاربه راغ عنه بهرام روغة ثم
وثب من الارض فاذا هو على ظهر الاسد فضم الاسد بفخذيه ضمة بلد لها الاسد
وفرج بين قوايمه وثبت مكانه يلهث وقصد الاسد الاخر فاستقبله حتى الصق
راسه براس الاسد الذي تحته ولم تمكنه السلسلة من زيادة التقدم فقبض

بهرام على اذنيه وحمل يضرب براسه راس الاسد الذي تحته حتى سقطا جميعا
ميتين فقام بهرام قايما قدميه وحمد الله على صونه وعونه وازال الذبولة من
منطقته وتناول تاج الملك ووضعه على راسه وناداه كسرى الذي كان الفرس
ملكوه ليهنئ بهرام الملك بن الملك ما اعطاه الله من ميراث سلفه فكلنا له
سامع ومطيع ثم ارتفعت اصوات الفرس بالدعاء له وتقدم اليه موبذ موبذان
فاخذ بيده فاجلسه على سرير ملكه وشد عليه زينة الملك وبايعه بالطاعة
وتابع زعماء الفرس على ذلك وركب بهرام فدخل المدينة ونزل بقصر ابيه وفرق
الاموال في ذوي الحاجات واهل النجدة وحبا المنذر وشرفه واجاز العرب
الذين صحبوه فاقرهم على افرادهم ثم انه وفى لرعيته بمواعيد عدله واحسانه
ولم يزل محمود الايام حتى هلك وقد دون الفرس له اخبارا عجيبة اودعناها
خبر بادر بن كابانا المسمى انبا انجبا الانبياء ● وبعد فلله الحمد بما هو اهله

السلوانة الخامسة وهي سلوانة الزهد

قال ○ اقعد ربنا تقدست اسماؤه مخاطبا اصلح من استخلفه في ارضيه واعلم من

كلفه

كلفه من بريته الذي كان عاضده على ما يستكفيه وعاصمه فيما يبديه
ويخفيه ○ لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه ○ هذا بعد ان خيره من ان يكون نبيا ملكا او نبيا
عبدا فاختار فقد الملك على غنى الملك ○ قال له جبريل حين اختار
بان نبي هدى نبوة في حال عبد به تحوي بها المقدم المعلى غدا ❦
ان حال عليك بحر العدى بين يديه صعقا سجدا ○ فلاختار ما لحظى به اجلا

خبر نبوي في زهد الملوك من حديث ابن مسعود رحمه الله قال
ان ملكا كان قبلكم بينا هو في ملكه اذ ادركه الخوف يريد الخوف من الله سبحانه قال
فترك ملكه وخرج حتى اتى النيل وكان على شاطيه يضرب اللبن يعني الطوب
ويعيش من ذلك فسمع الملك الذي كان في ارضه بخبره فارسل يقول له كن بمكانك
حتى الحق بك فترك الاخر ملكه ثم لحق به وكان امرهما واحدا الى ان هلكا قال
عبد الله بن مسعود فلو كنت بمصر لاريتكم قبريهما بما نعته لنا رسول الله صلى
عليه وسلم ○ **منثور ومنظوم من الحكم الزهدية**

روي ان سليمن بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين اعجبه ما
صار اليه من الملك يا عمر كيف ترى ما نحن فيه فقال يا امير المؤمنين هذا سرور لولا انه
غرور ✿ ونعيم لولا انه عديم ✿ وملك لولا انه هلك ✿ وفرح لو لم يعقبه
ترح ✿ ولذات لو لم يقترن بآفات ✿ وكرامة لو صحبتها سلامة ✿ فبكى سليمن
حتى اخضلت لحيته دموعه ✿ ومما قلت في ذلك ✿

يا متعبا كده الحرص في الفضول وكاده ✿ لو حزت ما حاز كسرى وما حوى وأباده
ما كنت الا معنى ومغرما بالزياده ✿ لم يصف في الارض عيش الا لاهل الزهاده
فرض على الزهد نفسا فانما الحرص عاده ✿ حذار حذار من دار هي شر دار حرامها
سم ناقع وعذاب واقع ✿ وحلالها نصب شاسع ✿ وأمل واسع ✿
دنيا كحار غرور ومتعة مستعاره ✿ ودار كسر وكسب ومغنم وتجاره
ورأس مالك نفس فاحذر عليها الخساره ✿ ولا تبعها بأكل وطيب عرف وشاره
فليس ملك لا يبقى بشراره ✿ ومن قصيدة لي في مثل ذلك ✿
انا بلاء ترى محاربها وتحرم الا في موادعها ✿ وتستفز الحليم عن سنن الفضل وتعلي مخادعها

من رام

من رام ابقاءها عليه فقد حاول ما ليس في طبائعها ✿ اسرع ما تنتحي بوائقها يوما
فتنة عليها وارفا بنفسك عن طلابها وامسكا بابعها ✿ واشفق عصا بيعة الغرور
عمري لهذا الدنيا منذرة ما فتئت تنصح لسامعها ✿ مؤذنة اهلها مؤذنة لساعة
فالاحمق والله من تجانبها عميد الزهد في مطامعها ✿ ومن ذلك ✿

اعلم لقد انما الزهد رفض لفضول تلهي وتطغي وتردي ✿
ثم لا تمكن الزهادة في المقسوم رزقا بل في ضروب التعدي ✿
مرحبا بالكفاف عفوا مسالما لا مرحبا بحرص وكد ✿
ما علمنا وقد رأينا كثيرا وسمعنا من كان جد بجد ✿
لا يزال الحريص يسنامه الحرص بنصب من الشقاء ونكد ✿

قيل ان حرقة بنت النعمن بن المنذر استاذنت بالقادسية على سعد
بن ابي وقاص رضي الله عنه فاذن لها فدخلت في جواريها وعليهن المسوح
ومقطعات الثياب السود فرأى منظرا شنيعا ولم تتميز له حرقة من جواريها
لمشاركتها اياهن في الزي وكن ذوات هيئة فسلمن عليه فقال ايتكن الحرقة فقالت انا حرقة

ها أناذه فقال أنت حرقة فقالت نعم فما تكرارك استفهامي أيها الأمير إن الدنيا
دار قلعة وزوال فما تدوم على حال ❁ تنتقل بأهلها انتقالا ❁ وتعقبهم حالا بعد حالا
وإنا كنا ملوك هذه الأرض يجبى إلينا خراجها ويطيعنا أهلها مدى المدة وزمان
الدولة فلما أدبر الأمر صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت ملأنا وكذا
الدهر يا سعد ما من يوم أتحفهم بخيره إلا أذاقهم بمره ولا أسعفهم بفرحة
إلا أعقبهم بترحة ❁ ثم أنشدت ❁

❁ فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف ❁

❁ فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف ❁

وبينما الحرقة تخاطب سعدا رضي الله عنه ❁ دخل عمرو بن معدي كرب
الزبيدي على سعد فنظر إلى الحرقة فقال لها أنت حرقة التي كانت تفرش لك الأرض
من قصرك إلى بيعتك بالديباج المبطن بالوشي قالت نعم قال لها عمرو وما الذي
دهمك وأذهب محمودات شيمك وغور ينابيع نعمتك وقطع سطوات نقمتك
فقالت يا عمرو إن للدهر عثرات تلحق السيد من الملوك بالعبد المملوك وتخفض ذا الرفعة

وتبدل

وتبدل ذا المنعة ❁ وإن هذا أمر كنا ننتظره فلما حل لم ننكره ❁ ثم إن سعدا سألها
عما قصدت له فاستوصلته فأجزل صلتها وقضى حوائجها ولما فصلت عنه
سألتها ما ذا ألفت منه فأنشدت ❁

صان لي ذمتي وأكرم وجهي ❁ إنما يكرم الكريم الكريم ❁

روضة رائقة ورياضة فائقة قال محمد عفا الله عنه ❁

فمما كان شاء الله تعالى من زهد الملوك ما يناسب الخبر النبوي الذي قدمنا
آنفا وهو زهدهم في الملك بنبذهم له وتخليهم منه ولا نتعرض لذكر من زهد
في نعيم الملك ولم يتنزه لاستقلاله بأعباء سياسة الخلق بالحق وأعباء الزهد
والعبادة ذلك كداود وسليمن في النبيين عليهم السلم وكأبي بكر وعمر
في الخلفاء المهديين فإن زهد الفن يخرج عن هذا الأسلوب ولا يندرج في
هذا الأساليب والله المستعان ❁ فمن ذلك ما بلغني أن معوية بن يزيد بن معوية
رحمه الله كان على صغر سنه كان عاقلا عالما متثبتا متقللا قد ذلل نفسه بالكد
وعزب بها عن زينة الدنيا فصارت الخلافة إليه وسنه سبع عشرة سنة

فحامره الندم على تحملها واطلع اهل بيته على ذلك فكرهوه ولبثوا عشرين ليلة يناظرونه
فيه وينهونه عن اظهار كراهيته فلما راوا انه غير منثن وانه لا بد له من خلع
نفسه دعوه الى ان يعهد الى احدهم فقال كيف اتجرع مرارة فقدها واتقلد
تبعة عهدها ولو كنت موثرا بها احدا لاثرت نفسي ثم انه خطب للناس فذكر
لهم عجزه عن القيام بامرهم وعهد اليهم ان ينظروا لانفسهم واحلهم من بيعته
وانصرف واغلق بابه ولم ياذن لاحد فلبث بعد ذلك خمسا وعشرين ليلة
ثم لحق بالله سبحانه . وقال علي بن الجهم في ذلك من ارجوزة له .
ثم ابنه معوية المستضعف . كان له دين وعقل يعرف .
ودام شهرا ثم نصف شهر . وكاه الموت عن الامر .
وترك الناس بغير عهد . فيا لها منه وفعل [illegible]
قال مؤلفه كلام علي بن الجهم هذا يتضمن ان معوية مات ولم يخلع نفسه والمعروف
ما ذكرته وانما قال معيبه لان الناس استضعفوه لتركه الخلافة ولذلك كنوه
ابا ليلى وهي كنية المستضعف . وبلغني ان السبب الباعث له على الزهد
في الخلافة والنبذ لها انه سمع جاريتين له تتلاحيان وكانت احديهما بارعة الجمال
فقالت

فقالت الاخرى لقد اكسبك جمالك كبر الملوك فقالت لها الحسنى واي ملك
يضاهي ملك الحسن وهو قاض على الملوك فهو الملك حقا فقالت لها
الاخرى واي خير في الملك وصاحبه اما قائم بحقوقه وعامل بالشكر فيه
فذلك مسلوب اللذة والقرار منغص العيش واما منقاد لشهواته
موثر للذاته مضيع للحقوق مضرب عن الشكر فمصيره الى النار فوقعت
الكلمة في نفس معاوية موقعا موثرا وحملته على الانخلاع من الامرة
روضة رايقة ورياضة فايقة قيل كان عدي بن زيد العبادي
التميمي قد دخل ارض الروم رسولا لملك الفرس واقتبس من علومهم ومن
الكتب وكان ذا مكانة من ملك الفرس وكان كاتبا له وترجمانا وكان ابوه زيد واليا
على الحيرة وخليفة للمنذر بن ماء السماء وكان عدي بن زيد عند ملوك الحيرة
من اجل ما ذكرناه في اعلى المراتب فلما حضر يوما عند النعمن بن المنذر
بن امرئ القيس بن عدي ملك الحيرة وهو بالخورنق قصر قد قدمنا ذكره فاشرف
النعمن على ما حول الخورنق وذلك في فصل الربيع فتامل مليا ثم اقبل على عدي

بن زيد ثم قال يا عدي أكل ما أرى إلى نفاد وزوال فقال عدي قد علم الملك أن الأمر
على ما ذكره فقال النعمان وأي خير فيما يفنى ويبيد ثم قام إلى البيت وتنصّر وترهّب
وساح في الأرض ❁ وقيل بل كان معجبا بالزهر المسمّى شقائق النعمان
وإليه ينسب لأنه كان يتتبع رياضه ويحميه وأنه قصد يوما من أيام
الربيع غبّ سماء شقيقة قد كساها ذلك النور والشقيقة له مستطيلة
فلما عاين تنضّد ذلك النور في منابته وفتق حمرته وخضرة سوقه وتموّجه
بهبوب النسيم وتناثر قطر الندى من أرجائه رأى منظرا عجيبا فأمر فبسط
له بإزاء ذلك الشقيقة بساط موشّى من الحرير وكأنما ذلك روضة مختلفة
بأصناف الزهر ونصب عليه قبّة من الديباج الأحمر قد شدّت من القواعد
والحنايا والنمارق والمساند بما يضاهيها ويجانسها ولبس من الحرير المصبوغ
بالبهرمان وهو العصفر أفضل ما يمكنه وجلس في قبته تلك متواجها للشقيقة
وحوله ندماؤه وملهوه وعنده عدي بن زيد فشرب وطرب ودبّت فيه
الراح وارتاح ثم أقبل على عدي يخاطبه بما ذكرناه آنفا فلما سمع عدي مقالته

فرصة موعظته بما حكيناه وأزمع الزيادة في إيقاظه من غفلته فأمهله
حتى انقضى أربه من مجلسه وركب فسايره عدي إلى أن مرّ بقبور بظاهر الحيرة
فقال عدي للنعمان أبيت اللعن أيها الملك أتدري ما تقول هذه القبور قال لا
قال عدي إنها تقول ❁ أيها الركب المخبّون على الأرض المجدّون كما أنتم كنا وكما
(نحن تكونون)
فلما سمع النعمان مقالته راجعته فكرته السالفة وظهر عليه الانكسار
ثم مرّ بشجرات منبتة وكان بين واحدة منها عين جارية فقال عدي للنعمان
أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه الشجرات فقال ما تقول فقال عدي إنها تقول
من رآنا فليحدّث نفسه أنه موفٍ على قرن الزوال ❁ وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتي
ربّ ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال ❁ والأباريق عليها فدم وعتاق الخيل
عمّروا دهرا بعيش حسن آمنين في دهرهم غير عجال ❁ ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذاك
وكذاك الدهر يردي بالفتى في طلاب العيش حالا ❁ بعد حال ❁ وقيل إن ذلك
بيتهما في موطن آخر وأنه أشار بقوله هذا إلى قبور كما أشار به أولا فلما
بلغ النعمان قصره قال لعدي إذا كان السحر فاحضر وإن عندي خبرا أطلعك عليه

فلما كان السحر حضر عدي فوجد النعمن قد لبس مسحا وقد اخذ اهبته للسياحة
فودعه وذهب ولم يعلم له خبر وعُني ان المذهب انه هو النعمن بن المنذر
الاكبر ولم يدركه عدي ولكن ذكره في شعره ❊ والذي ادرك النعمن
بن المنذر الاصغر فنبهه بما حكي عنه فنبهنا فقضي تنصره لا سياحته بل هو
الذي قتل عديا وبقي في ملكه الى ان قتله كسرى والله اعلم اي ذلك كان وبالجملة
ففي ذلك قال عدي بن زيد

أيها الشامت المعير بالدهر أأنت المبرأ الموفور ❊ أم لديك العهد الوثيق من الايام أم
من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من ان يضام خفير ❊ أين كسرى كسرى الملوك انوشروان أم أين قبله
وبنو الاصفر الملوك ملوك الروم لم يبق منهم مذكور ❊ واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تجبى اليه
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور ❊ لم يهبه ريب المنون وباد الملك فبابه
وتذكر رب الخورنق اذ اشرف يوما وللهدى تفكير ❊ سره ملكه وما يملك والبحر معرضا
فارعوى قلبه فقال وما غبطة حي الى الممات يصير ❊ ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك
ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور ❊ روضة رائقة وروضة رائقة

حكي ان ملكا من ملوك اليونانيين قام من منامه في بعض الغدوات فأتته قيّمة
ملبسه بثيابه فلبسها فناولته المرآة فنظر فيها فرأى شيبة في لحيته فقال
هات المقراض يا جارية فأتته به فقص الشيبة فناولها الجارية وكانت
لبيبة أديبة فوضعتها في كفها واصغت اليها اذنها ساعة والملك يتأملها
فقال لها ما تصنعين فقالت استمع الى ما تقول هذه الشعرة التي عظم مصابها
بمفارقة الكرامة العظمى حين سخطها الملك فاقصاها فقال لها الملك فما الذي
سمعت من قولها فقالت ان ذعم قلبي انه سمعها تقول كلاما لا يجترئ لساني على النطق
به اتقاء سطوة الملك فقال لها الملك قولي على حال الامنة وعدم توقيها
لزمت اسلوب الحكمة فقالت انها تقول ايها الملك المسلط الى احد فصبر
اني قد كنت طلبت بك البطش بي والاعتداء علي فلم اظهر على سطح جسدك
حتى بغتت وحفيت بيضي حتى افرخن وعهدت الى بناتي في الاخذ بالثأر
عهدا وكأني بهن خرجن فجعلن الاخذ بثاري منك اما باستئصالك واما
بتنغيص لذتك وتخويف قوتك حتى تجد الهلاك راحة فقال لها الملك اكتبي

كلامك هذا كتبته له فتصحفه مرارًا ثم نهض مبادرًا وأتى هيكلًا من الهياكل
التي يعظمونها فنزع عنه ملبس الملك وتزيّى بزي نساك الهيكل وبلغ ذلك أهل
مملكته فبادروا إليه وطالبوه بالعود إلى محل ملكه وتدبيره فامتنع عليهم
وسألهم إقالته وتمليك غيره فامتنعوا عليه وهمّوا باجابته فاصلحوا بينهم النساك
على أن يتركوه في ذلك الهيكل يتعبد به ويستكفي لما السابق في مثله من
أمور رعيته ويلي غير ذلك بنفسه فلبث على ذلك إلى أن هلك **روضة**
رائقة ورياضة فائقة بلغني أن ملكًا من ملوك اللان
كان كافرًا شديد العتو والكبر حديث السن مستحكم العزم وكان إذا ركب لم يستطع
أحدًا رفع صوته إلا بالثناء عليه والمدح له والشكر لإحسانه وكان له وزير
نصراني يكتم إيمانه ويتحرى وقتًا يمكنه فيه دعوة ذلك الملك إلى الله سبحانه وتعالى
فركب الملك يومًا فسمع شيخًا قد رفع صوته لبعض شأنه فقال للشرط خذوه
فلما أخذوا الشيخ قال الله ربي فقال الوزير للشرط خلوا عنه فخلوا عنه
فاشتد غضب الملك على وزيره ولم يمكنه الإنكار عليه في ذلك المقام لئلا
يظهر

يظهر الناس أن الوزير يخالفه فيما يأمره به وسكت ليوهم الناس أن الوزير
إنما أمر بما أراده الملك فلما انصرف الملك إلى مستقره أحضر الوزير فقال له ما
دعاك إلى أن تضيع أمري مستبدًا من عندك فقال الوزير إن لم يعجل الملك
أريته وجه نصحي وإشفاقي وحوطتي عليه بما أتيته فقال له الملك أرني
ذلك فإني لا أعجل عليك فقال له إن يحتجب الملك في مجلسه هذا ويكون
بحيث يرى ويسمع من حجابه ففعل الملك ذلك ثم إن الوزير أحضر قوسًا صنعها
للملك بعض خدمته وكتب الصانع اسم نفسه عليها فناولها غلامًا لحضرته
وقال للغلام إني محضر صانع هذا القوس فإذا حضر وأقبلت عليه بالمحادثة
فاقرأ الاسم الذي على القوس جهرًا حتى يعلم أن صانعها قد سمعك ثم اكسرها
وحضر القواس وفعل الغلام ما أمره به الوزير فلما كسر القوس لم يتمالك
صانعها أن ضرب الغلام فشجه فقال الوزير ويحك تضرب غلامي بحضرتي فقال
القواس القوس عملي أيها الوزير وهي في غاية الحسن والجودة فلأي شيء
يكسرها فقال له الوزير لعله لم يعلم أنها عملك فقال بلى لقد أخبرته العرس

بانتما عملي فقال له الوزير وكيف تخبره القوس فقال هذا خطي بذلك عليها وقد قراه
وانا اسمعه فصرف الوزير القوس ثم اقبل على الملك فقال له قد اريت الملك وجه
نصحي له واشفاقي عليه بما كان مني وان الملك لما اراد ان يبسطوا على الشيخ
اخبره الشيخ ان الله ربه يخفف على الملك ان يبطش به الشيخ ولئن يقوم
لبطشه شي فقال الملك للوزير وهل للشيخ رب غيري فقال الوزير الم يره الملك
شيخا والملك شابا فهل كان هذا الشيخ قبل ان يولد الملك لا رب له فقال الملك
لا بل كان ابو الملك ربه فقال الوزير ما بال الرب يفني بعد هلاك ربه فقال
الملك الوزير لقد دخلت في كبدي من غير حاله ولقد علمنا الان انه يجب ان
يكون المالك والمملوك رب لا يزول فهل تعرفه فتدلني عليه فقال الوزير
نعم اني اعرفه فقال الملك ادللني عليه اكن لك تبعا ما بقيت فقال الوزير
اما دلالتك عليه فاول ما يجب لك علي واما اتباعك اياه فلئن فعلته فانما
تتبع عبدك الذي بعثك لمحبته ما ربيتك ثم ان الوزير تلطف في دلالته على
الله سبحانه وشرح الله سبحانه صدر الملك لقبول ذلك فآمن بالله سبحانه

ثم

ثم قال الوزير اما لربنا خدمة اذا احسنتها اعبد بها حظي بذلك عنده
فقال الوزير بلى ان له وظايف عباده امرها خلقه ورضي لهم بفعلها ووعدهم
عليها رضوانه والقرب منه وذكر له الصلاة والصيام وغير ذلك من
شرايع المسيح عليه السلم فجعل الملك يرتاض بها حتى سخا في عملها وندب
على العمل بها ثم انه قال للوزير ما لك لا تدعوا الناس الى الله كما دعوتني
فقال ما معناه ايها الملك ان الان امة ذات قلوب قسية وهموم قصية
ونفوس عصية ولست امنهم على دمي ان يفوه لهم بذلك فقال الملك ابي
فاعل ذلك ان لم تفعله انت فقال له الوزير ليعلم الملك انهم ان لم تردهم هيبة
عني لم تردهم عنه وساجعل نفسي وقا لنفسه وانهم سيقتلونه لا محالة
فلا يجري الملك عليهم مثلها بعدي ثم ان الوزير استدعى الى داره وجوه ملك
المملكة وذوي تدبيرها وولاة احكامها واهل النسك والعلم منها فلما
اجتمعوا اليه في داره قام فيهم خطيبا بالدعوة الى الله سبحانه فثاروا
اليه فقتلوه ثم صاروا الى الملك فاخبروه بما كان من الوزير ومنهم وقالوا له

انما طمنا ان الملك على مثل رايه وحب ما عنده فارضاهم بالقول وادهن لهم وصوب
رايهم في قتل الوزير فانصرفوا راضين عنه وقل ما لبث ذلك الملك ان تبدد ملكه
وحل بالرهبان ما كان معهم الى ان توفاه الله عز وجل **روضة**
رايقة ورياضة فايقة قيل ان ازدشير بن بابك بن ساسان ولد
له في حداثة سنه وبدو امره ولد فسماه بابك باسم ابيه فنشا رايع الصورة بارع
الخلق فشغف به ازدشير حبا والزمه فيلسوفا ماهرا في الفلسفة راسخا
في الحكمة متحليا بالزهادة وسالوه الوزير ان يحجر ولده فاقتطعه الفيلسوف
عن ابويه وولي تربيته وتدريجه الى ان اضطلع بعلوم الفلسفة وتبوا
متبوى الزهد ولما سعى ازدشير على ضم كلمة الفرس فتم له المراد واعطاه ملوك
الطوايف القياد واستمر راي ولده بابك فيما نابه من المهمات وظفر منه باضعاف
امنيته الا انه كان لا يشاهده ولا يكاشفه الا بغض اليه الدنيا تصغيرا
لمعايبها وتعريفا بمساويها وتخويفا من افاتها وكان ازدشير معظم المسرة
بولده لاجل ذلك وكان يقال من صحب الملوك بما يكرهونه فلا ينكرهونه

وكان يقال

وكان يقال قل ما يتوفر فكر الملك على امر واحد حتى يطول عنايته به على
انفراده وذلك لكثرة ما يتحادث خواطره من الامور حتى اذا توفر فكره على امر
واختمر او شك لن يحكمه فاذا رايته قد اختمر الامر وتوفر عليه فلا تعرض له بغيره
فتحول بينه وبين الفرصة التي يقل ظفره بها قيل وكان ازدشير متحمل
ذلك الملك شغفا به وثناء له واثناء عليه فقال له يوما يا بابك اتعرف اباك
فقال بابك اني لي ايها الملك السعيد ابوين ابا كان علة كوني وابا كان علة
(يعني اباه)
بقاي وانا بهما عارف فقال ازدشير صف لنا اباك الذي كان علة كونك
(يعني مربيه)
فقال بابك ما معناه انه ملك ملا العيون بها والاسماع ثنا والصدور هيبة
والقلوب محبة دولته شاملة وقضيته فاضلة وسيرته عادلة وحزم
اخاف قلوب المذنبين من اجسادها وسيوفهم من اغمادها وامن المفرقين من
السباع الضارية والافاعي الجارية فالاشباح رق لسيفه وحزمه
والارواح راق لنيته وحلمه فقال ازدشير لابنه بابك صف لنا اباك الذي كان علة
بقايك فقال بابك ما معناه انه حكيم عرف فضيلة نفسه فكرمها وغني بها لحد همها

فقال اردشير اخبرنا عن كيفية خدمته لنفسه فقال ما بك ما معناه انه تامل

بعصرف تواضع الحكيم الذي علمه الزهد والحكمه

نفسه فراها ارضا اريضة انيقة بكل خير طفقه ذات مياه نابعة واشجار دائمة
واثمار يانعة وظلل ظليل ونسيم عليل الا انه الفاها ماوى لاسد الغضب
ونمور الجهل وذئاب الغدر وخنازير الشره وكلاب الحرص وضباع الحمق وحيات
الظلم وعقارب الحسد فنفى عنها هذه الآفات كلها وحصنها منها فصارت
خير محط لا نزهة فيه فلما سمع اردشير مقالة ابنه علم انه معرض عن الملك زاهد
فيه نابذ له فساءه ذلك ثم اقبل عليه فقال له يا بك ان الحكمة لا ترضى لمن اتصف بها
ان يكون مرءوسا مقهورا مع تمكنه ان يكون ربا قاهرا فقال يا بك ما اجدر الملك السعيد
بالصدق واحراه بالاجابة ولكن ان اذن لي الملك السعيد ضربت له مثل الربيب القاهر
والمربوب المقهور فقال اردشير هات ما عندك من ذلك فقال الملك ذكر ان فيلا كان
مكرما عند بعض الملوك وكان ربيبا انيسا اديبا وانه صيد له ~~الملك~~ فيل وحشي اخر
فعسر على السواس اياصنته ونفد عليهم تانيسه فراوا ان يجعلوا مع ذلك
الفيل الانيس الاديب ليانس به ويقتبس من ادبه ففعلوا ذلك به فازداد انفارا

مقهورا

الفيل ... الوحشي

اى المطلع اى الماعة

وتوحشا

الفيل المربى منوهم

وتوحشا فبالغ السواس في عقوبته والتضييق عليه والتجويع لبدنه فقال منه
الحمد ان الفيل الربيب قال له يوما لقد جنيت على نفسك شرا واسات النظر لها
بجهلك ولو علمت ما يراد بك من الخير لم تفعل ما فعلت ولكنه كان يقال الغرة
باب يحجب الالباب عن صوب الصواب ⊙ وكان يقال الجاهل ميت الاحياء وذلك
لتهوره وفساد تصوره ⊙ وكان يقال لا تنح كرامة غير بالها كما لا تنح كريمة
غير خاطبها فقال الفيل الوحشي للربيب ما الذي يراد بي قال يطيب علفك ويستعذب
موردك ويبطن مسكنك ويوكل بك خدمة يكلونك ويرعون شؤونك ويجعل
لبرودك اوقات معلومة منتظرة يحتشد الناس لها فتحلل بالديباج وتفرش
بيتك بالالوان تبيح الطرب سفته الى الاحتفال ثم تزدحم مكرما معظما الا ان عارضك
داءه ولا يهب عليك الهون نائبة ⊙ فقال الوحشي للربيب لاخبرني ما ذكرت
لي فنزع عن توحشه ونفاره وتانى لما يراد منه وكرم وتنعم وخدم وعظم ولما
اظل يوم الزينة تولع في تكرمته وتنظيفه وجلل بالديباج وشد على ظهره
سرير من ذهب وصعد عليه المقاتلة عليهم الدروع والخوذ وبايديهم عمد الحديد

وركب على عنقه دارع بيده كلاليب والبست فنطسته الزرد وشد على
ظهرها قايم سيف كبير وقبض سواسه على نابيه من عن يمين وشمال وبايديهم
عمد الحديد وعليهم الدروع وضربت بين يديه الطبول والصنوج وسار على تلك
الحال حتى بلغ المراد منه فلما عاد الى ماواه قال لذلك الفيل الربيب قد رايت
حقيقة كل ما حدثتني عنه ورايت زيادات لم يبين اسالك عنها قال ما
هي قال ما كانت تلك الاثقال التي حمل ظهري فقال الربيب اولئك المقاتلة على
سرير ومعهم الالات للقتال فاما ذلك الذي شدت به فطستي والذي
صب على طرفيها وما اراد القابضان على نابي والراكب على عنقي فقال له الربيب
اما الذي شد به فطستك فدرع حصنتها لانها مقتل واما الذي ربط
اليها فسيف تضرب به في العدو واما القابضان على نابيك فانهما يذبان
عنك الاعدا ويثبتانك على الاقدام واما الراكب على عنقك فمهديك الوجه
الذي يراد منك سلوكه فقال الفيل الوحشي الامر لطيب حلو واستعد مورد
ولطف ... ومسكني ونوه باسمي وحمل لبسي واني لا ارى امرا لا يقوم خبره

بشره

بشره ولا يبقى نعمه بضره ونكد فلا تكونن من احرص الحراص على التماس الكرام
وانه كان يقال الحر من انقاد للذاته وخدم سوى ذاته وكان يقال من
عني بغير نفسه فقد بسط عليها ضره واستنبط لها ضره وكان
يقال اذا كانت الحاجة تستعبد المحتاج لمن احتاج اليه بقدر حاجته
فالناس عبيد الدنيا واعبدهم لها احوجهم اليها وكان يقال اذا كانت العبدية
كناية عن حرمة المعبود والحاجة اليه فاعبد العبيد الملك والمحب
والمنعم عليه لاستيلا العبودية على ظاهرهم وباطنهم والملك اعبد
الثلثه وذلك ان الرعية تستخدم باطن الملك وظاهره في تدبيرها وتاديبها
وصونها من عدوها وعونها على مصالحها وردع ظالمها ونصرة مظلومها
وتامين سبلها وسد ثغورها والاعداد لما يبعثها الحروب ما لحقها
في الحروب وجباية فضول اموالها وصرفها في صلاح احوالها وحسم اسباب
هيجها وازالة علل فتنها وهو مع هذا اشد حاجة الملك الى عبيده في
صون نفسه وسياسة امره وامحاض نصحه وادفاع عدوه فلما سمع الفيل الربيب

مقالة الوحشي يتيقن انه اولى منها بالغرة والدهور وفساد التصور وقال

يحق قالت الحكماء الجهل يحجب العيان ويعلن الاعيان وقال الابرار المخطي من خوا

ما البخار من الاعجاب لخطيه واذا العجب حجب ثم قال الوحشي اني اكافيك

عن نصحك اياي وصبرك علي بان افتح لك باب الحيلة في خلاصك لاني ابصر

باخلاق الانس وعاداتهم واهدى الى وجه الخلاص منهم وسانبعك واكون

لك خادما ما بقيت ثم انهما اتفقا على ان يظهرا الزهد وهو داء يصيب

الابل والفيلة في اعمارها فاذا قامت ارعدت افخاذها حتى يكاد يسقط فيفعل بح

بالبعير ويحمل على السير الهون فلما تظاهر الفيلان بذلك سارع السواس الى مداواتهما

واخرجوهما الى الصحراء يسيرونهما فلما بعد الفيلان عن العمارة وامكنهما فرصة

الهرب تراقضا بالفيلة الوحشية فهذا ايها الملك السعيد مثل ما ذكر ث

فلما وعى ازدشير مقالة ولده يا ملك اطرق مغموما يفكر في امره وقد يئس

من اجابته الى ما يريده منه ثم انه نهض وامر مالك باتباعه حتى ادخله بيو

ت امواله ومستودعات ذخايره فجعل يريه اياها ويبينه على من ابا بها حتى

الى على

اتى على اخرها ثم اقبل عليه فقال له يا ملك لمن تترك هذا اتتركه لمن هو احب

اليك من نفسك واحق به منها فقال يا ملك ان اذن لي الملك السعيد ضربت

له مثلا فيه جواب ما سالني عنه فقال له ازدشير هات ما عندك في ذلك

فقال يا ملك ذكر ان راعي بقر كان يرعى على اهل قرية فيحسن لبقرهم السراح والمر ح

فلبث بذلك برهة طويلة من الزمان وهم به مغتبطون وعليه مثنون لما

يعرفونه من بركة سعيه ونمو رعيه وكانوا لا يسالونه عن شي من امر بقرهم التي

اسلموها اليه رضى به وطمانينة الى امانته وكفايته وكان يقال الموثوق

موموق والامين بالمودة محقوق وكان يقال الاحسان والامانة يتملقان بكل

لسان ويعتقان عند كل انسان قال وكان الراعي ياوي عند المقيل الى صومعة

راهب فيستظل في ظلها ويكثر التاوه والانين لما يناله من النصب فيما يعانيه

وكثر ذلك منه على الراهب الى ان خامرته له رقة فاطلع عليه يوما فقال له

ايها الراعي ما لي اسمعك تكثر الانين والتاوه فقال الراعي ذلك لعلمي ان

حفظ هذه البقرة التي عيناها ونتبع المراعي المخصبة بها فابى ان يقوم من ذلك بما

يعجز عنه غيري واحمل على نفسي المشقات في حصوله فقال له الراهب فما الذي
دعاك الى الاضرار بنفسك في اصلاح هواها ونفسك اقرب اليك واحق
بسعيك فقال الراعي اني لو لم افعل ذلك لما بلغت هذه البقر من السمن والوفور
ما ترى ولقد كانت يوم وليت امرها قليلة العدد كثيرة العجف بكية الضرع
ليس منها ولا انما اناء فقال له الراهب لقد حدت عن مسالتي حيدة من لم
يولها اقبالا ولم يلق بها بالا اني انما سالتك عن سبب حملك على نفسك لخيرها
وايثارك من سواها لخيرها فاخبرني بسعد عنائك وسبب اعنائك الان
مما افادك حميد سعيك وسديد رعيك فقال الراعي افادني الخير هذه البقر
لاني اكل من لحوم ما سقط منها ما شئت واطعم من شئت واتصرف في البانها
وغير ذلك من منافعها تصرف المالك واتمتع بها من الارض حيث شئت فهي
في الحقيقة لي وبيدي فقال له الراهب هذا زعم راهب كان ذا علم صح عنده
بطل زعمه فقال الراعي اخبرني عن ذلك فقال الراهب انه كان سائح من رهبان فمر
بساحة دير كان حسن البناء فتملك جنباته وهو مكان طيب التربة و

ارض

ارض انبتته بها ذات ماء عذب وفي ذلك الدير نفر من ضعفاء الرهبان
ومساكينهم فاعجبه الدير واوطنه وكان قوي البدن جلدا معمارا فاصلح
ما سلم من جدران الدير وعمر الارض التي عنده واحتفر سواقيها واجرى ماءها
وغرس فيها صنوف الاشجار فدرت منافع الدير وقصده الرهبان فاوطنوه
وسادهم ذلك السائح واتخذ العبيد والدواب واله عمارة الارض واستصفى
اي جعل جميع ما ياتي للدير من تحت امره حاكما عليه
لانه كان هو سببا لعمارته
الى ارض الدير ما جاورها وغرس فيها من الكروم والزيتون واللوز شيئا كثيرا
فعظمت به المنافع وكثرت الجباية ورغب السائح في جمع الدنيا فحرم المساكين
واتخذ كنزا نفيسا في اقرب مدة وكان يقال المال كالماء فمن استكثر منه ولم
يجعل له مسربا يتسرب فيه ما زاد على قدر الحاجة غرق به وكان يقال
المواساة في المال والجاه عوذة لبقائهما ولما عامل الراهب السائح من معه
الدير بالحرمان واستاثر دونهم بالمال الكثير واشكا بنيه فعظمت القالة فيه واجترا
عليه من كان يهابه وافضت الحال بهم الى مكاشفته فجاسروه ودعوه الى
الانصاف والمواساة فيما بينهم فقال لهم كيف اعطيكم مالي الذي كسبته

من كذبي واستسلم عن قبيح حمدي فقالوا بل هو مال الله ولكل واحد
منا فيه حق ولك الفضل علينا بتنبيهه وصونه فقال لهم ستعلمون مال
من هو فلما جن عليه الليل امر عبيده فعقروا الف دابة والف ثور
اي قتلوا
والف لون فاصبحت مصرعة في اشنع منظر فاتوا التاجر فاخبروه بما حدث
ثم لا يعلمون انه هو الفاعل لذلك فزجرهم وقال لهم انه مالي فلا عليكم منه بقي
او ذهب فعلموا انه علة فثاروا عليه فاهانوه وضربوه ثم طردوه فخرج من البلد
على الحالة التي دخلها بها فلما حصل بظاهر البلد سرح ما فقد فيما كان عمره وعرسه
فراي منظرا ذائبا فتنفس الصعداء متحسرا على ذهاب شبابه وقوته وربعان عمره
فلم يعد عليه طائلا لانه كانت عاقبته الى مزابله والانسلال منه على حال هونه
وفاقة وضعف بحق قالت الحكماء الدنيا سبيل تعبر ولا تعمر وممر سالك لا
مقر مارك وقالوا الدنيا جسر من عبره باعتبار افضى الى قرار ومن عبره
باغترار افضى الى دمار وتبار وقالوا الدنيا قريب سلبها ممن سلمها وخطوب ناس عطبها
والعاقل من اهلها من استعد لخلعها ولبس الاستعداد لذلك الا الدائم المكتوم وفراق

المحتوم

هكذا من [illegible] غز مكه جز [illegible]

وما معلو[م] ذالك الى [illegible] بلدته حين امسك جميع [illegible] للاولى من [illegible]

المحتوم والاستكثار منها فبعض ذلك وقالوا الخروج من الدنيا عليه تطيب به
نفس ولكن قلة تهيار باضعف النفس عليه باستشعار الزهد في الفاني العاجل
والاستكثار من العمل النافع في الاجل وقالوا التنعم في الدنيا بضاعة حسرة وبالها
ويوكد غصة اغتيالها ثم ان الراهب قال [illegible] فاما انت
عاد الى سياحته فقال اما انت
ان هلك ● فلما وعى الراعي مقالة الراهب وفهم المثل الذي ضربه له وما تضمنه
تضمنه من الحكم قال له جربت من ناصح خبر اخذ الان بالتصريح حالي عندك فقد
ادمعتني كنايتك ومباني القول وجلت عن فطنتي صداء غربي ● الراهب للراعي قد
اوضحت لك غلطك في دعوى ملكك ما استرعيته واستعملت فيه وانبهت عليه
اوكشفت لك ما استر عنك من قبح جهلك على نفسك لغيرها مضاعا عن ذاك [illegible] ضا ●
قليلة واعراضا مستعجلة فاردد البقر الى مالكها واعمل في خلاص نفسك من شر
الضاربة ● والافاعي الجارية ● والكلاب العاوية ● والعقبان المحلقة والتنين طير ●
المفترسة ● والاشراك الحابلة ● والسموم القاتلة ● لتنجو من البوار وتعلو ●
الى عالم الانوار ● قال [illegible] المنتهي ما بلغ من امثال الوعظ انتهاؤها امسك عن القول ●

وأطرق أبو أردشير متأملاً لما تصرّف فيه ولده من المقال وضربه له من الأمثال

ثم نهض مضطرب البال ، متضطرم البلبال ، وخرج ملك من فوره ،

فسلح ، ولم يعلم أين طاح ، قال عبد الله الفقير إليه الغني به

محمد بن أبي محمد [illegible] ، إني والحمد لله ، قد انتهيت

بعيه ما أردت ، إلى نهاية ما أردت ، وأنا أعوذ بالله من غلب

الإعراب ، كما أعوذ به من غلبة الإعجاب ، واستكفيه غول السؤال

كما أستعفيه من عول الجواب ، واستدفع به فساد الخطأ ، كما أستمنح

به كساد الصواب ، وأتوب إليه فهو الرحيم التواب ،

كمل كتاب السلوانات والحمد لله حق حمده

وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده

وعلى آله وصحبه وجنده صلاة دائمة إلى يوم الدين

وكان الفراغ من نسخه في العشر الأوسط من المحرم سنة إحدى وخمسين [illegible]

نفع الله به صاحبه وكاتبه وقارئه وسامعه والناظر فيه وجميع المسلمين آمين